تمكين للأبحاث والنشر

9 سلسلة أدوات القادة
(مشروع النهضة)



لحظة الإقلاع وتساؤلات المرحلة

د. جاسم سلطان



لحظة الإقلاع
وتساؤلات المرحلة

د. جاسم سلطان

هذا الكتاب

بعمق وموضوعية يشرح لنا الكاتب كيف وصلنا للحظة التي نحن فيها، ثم ماذا تقول لنا الأحداث الجارية هنا وهناك، هو محاولة جادة في بيان ما لا يُقال لنا لأسباب عديدة، ما لا يقوله السياسيون ولا تقوله القنوات ستقرأه في هذا الكتاب.

وفيه خلاصة لرحلة مشروع لم يأل جهدا في المساهمة في بناء العقل الشبابي العربي، اسئلة هذا المشروع؛ كيف بدأ وكيف استمر وما هي اولياته ؟وكيف نستفيد منه؟ إجابات لا تنقصها الشفافية، جمع فيها الكاتب بين عمق المفكر، وجرأة الباحث، ونفسية المرشد الاجتماعي الحريص على إيصال الفكرة بسلاسة ويسر.

تجربة تستحق الدراسة والنقاش، فقليلاً ما نجد فكرة يعرض لنا صاحبها ما وراء الكواليس دون اي تحفظ وحسابات وموازنات تُفقدُنا في كثير من الأحيان جزءَ من الحقيقة مهم .

في ثنايا هذا الكتاب تفكير بصوت مكتوب، تفكيرٌ من اجل العمل والفاعلية، فكرٌ يحتاجه كل حريص على مصلحة وطنه ومجتمعه، هي رحلة شيقة سترحل فيها في اتجاه المستقبل الذي نحلم به جميعاً.

الناشر

ISBN 978-614-431-901-7

تمكين للأبحاث والنشر

لحظة الإقلاع
وتساؤلات المرحلة



لحظة الإقلاع
وتساؤلات المرحلة

د. جاسم سلطان

تأليــــف

د. جاسم سلطان

مديــر المشــروع

جمال المليكي

المتابعة والتنسيق

احمد درويش

إخــــراج فنــــي

آية قبلاوي

تصميــم وطباعة

golden vision
Beirut- Lebanon
Tel/fax: + 961 1 82 04 34

الناشـــــر

تمكين للأبحاث والنشر
لبنان - بيروت

الطبعة الأولى: فبراير ٢٠١٣

ISBN 978-614-431-901-7

تمكين
للأبحـاث والنشــر

Tel: 00 961 70 895558
E-mail: dtamkeen@gmail.com

الفهرس

هذا الكتاب

بعمق وموضوعية يشرح لنا الكاتب كيف وصلنا للحظة التي نحن فيها، ثم ماذا تقول لنا الأحداث الجارية هنا وهناك، هو محاولة جادة في بيان ما لا يُقال لنا لأسباب عديدة، ما لا يقوله السياسيون ولا تقوله القنوات ستقرأه في هذا الكتاب.

وفيه خلاصة لرحلة مشروع لم يأل جهدا في المساهمة في بناء العقل الشبابي العربي، اسئلة هذا المشروع؛ كيف بدأ وكيف استمر وما هي اولياته ؟وكيف نستفيد منه؟ إجابات لا تنقصها الشفافية، جمع فيها الكاتب بين عمق المفكر، وجرأة الباحث، ونفسية المرشد الاجتماعي الحريص على إيصال الفكرة بسلاسة ويسر.

تجربة تستحق الدراسة والنقاش، فقليلاً ما نجد فكرة يعرض لنا صاحبها ما وراء الكواليس دون اي تحفظ وحسابات وموازنات تُفقدُنا في كثير من الأحيان جزءً من الحقيقة مهم .

في ثنايا هذا الكتاب تفكير بصوت مكتوب، تفكيرٌ من اجل العمل والفاعلية، فكرٌ يحتاجه كل حريص على مصلحة وطنه ومجتمعه، هي رحلة شيقة سترحل فيها في اتجاه المستقبل الذي نحلم به جميعاً.

الناشر

لقد برزت الحاجة إلى كتاب جديد يكون مقدمة لفهم جملة مشروع النهضة الذي نطرحه. وهو يضم ما تفرق من إجابات على الأسئلة التي طرحت على المشروع منذ (٢٠٠٤)، لحظة إطلاقه وحتى اليوم. لقد طرحت فيه فكرة النهضة، وفكرة ضرورة الانتقال من فضاء الصحوة إلى فضاء اليقظة حينها، عبر ملاحظة التغيرات الكبرى التي تحدث في العالم والعالم العربي، وحينها كان العالم العربي يرزح تحت كتل من اليأس والإحباط، ولذلك كانت خاتمة كتاب «من الصحوة إلى اليقظة» حينها تدور حول فكرة هدم جدران اليأس.

واليوم تحركت المياه من تحت الجسور، وتغيّر الحال، وبدأت رحلة الألف ميل، وبدأ الحديث عن مشاريع الإصلاح في أوضاع جديدة، هي أوضاع ما بعد الثورات، باقتصاديات منهكة، ونُظم تحت التشكُّل، ومجتمعات توّاقة للتقدم، ولكنها عاجزة عن العمل له، تراوح بين الحركات المطلبية وأعمال الاحتجاج، وهي ظواهر طبيعية لشعوب طال انتظارها لواقع جديد، ولكنها لا تدرك أن الواقع الجديد لا ينشأ نتيجة الثورات، ولكنه ينشأ نتيجة كفاح مرير، في المصانع والمزارع، وساحات العلم والمعرفة، وبقيَم الاجتهاد والإتقان.

ومشروع النهضة من الزاوية التي طرحناه بها، يستقبل عصراً جديدًا ومتطلبات جديدة، وبالتالي، ستنعكس كل هذه التطورات على المادة المقدمة، وعلى البرامج التي نقدمها لمتطلبات متجددة، وأسئلة حائرة جديدة. وفي هذه المرحلة الجديدة نرجو أن تظهر مادة جديدة تفيد المتخصصين، مثل المعلمين، والخطباء، والإعلاميين، والسياسيين الذين يلعبون الدور الأكبر في التوعية، وإنتاج العصر الجديد.

وهذا الكتاب جزء من سلسلة أدوات القادة، وهي المشروع التي بدأت به المؤسسة منذ نشأتها، لتوفير كل احتياجات قادة الغد المعرفية، فيما يخص الضروريات. وقد صدر منها حتى الآن تسعة كتب، وهي تشكل ثلث الكتب المطلوبة، لسد الثغرة المعرفية بطريقة موضوعية.

وهذا الكتاب أحد أفراد هذه السلسلة، وفيه نستعرض أهم الأسئلة التي قابلناها في أثناء تقديم المادة، عبر رحلة السنوات الست الماضية، ومنها ما كان قبل التحول العربي، ومنها ما جاء بعد هذا التحول.

ومنها يستطيع القارئ العجل أن يُلِم بأطراف الموضوع، قبل أن يتشعب في برامج النهضة، وأسئلتها العملية والنظرية، والأسئلة التي سنحاول الإجابة عليها في هذا الكتاب، هي الأكثر شيوعاً، والأكثر نفعاً للقارئ، إن شاء الله.

وقد ناسب أن نجعلها في ثلاثة فصول، ربما لا تكون متوازنة في الطول، ولكنها جميعاً تخدم هدفاً واحداً، وهو مساعدة القارئ على الانتقال السلس بين الأفكار، وهي تبدأ بفصل يتكلم عن اللحظة التاريخية التي نعيشها، ويتناول الفصل كذلك اهم القضايا ذات الأولية وهو بعنوان: عصر جديد يتفتّح، ثم يتلوه فصل يتناول الأسئلة الكبرى التي تطرحها المنطقة في دورتها التاريخية، وجذور تخلُق هذه الأسئلة، وهو بعنوان: جذور الأسئلة الكبرى وقضايا المرحلة، ثم فصل ثالث يتحدث عن الاسئلة الخاصة بالمشروع الذي نعمل فيه، ثم خاتمة.

الفصل الأول

عصر جديد يتفتح

الفصل الأول

عندما نتصفح مدونة التاريخ البشري، نجد أمامنا مسيرة الأحداث الكبرى التي تشكل فواصل بين عصر وعصر، بين مرحلة ذات خصائص معينة ومرحلة أخرى اختلفت فيها الخصائص وتغيرت المعطيات. فنزول الرسالة الاسلامية كان لحظة فارقة على الجزيرة العربية ومن بعدها العالم. وسقوط الأندلس كان له ما بعده في أوروبا. وحدوث الثورة الدينية في أوروبا كان حدثاً مفصليا في إعادة تشكيل العقل الأوروبي. وقل ذلك عن سقوط الخلافة العثمانية، ودوره في انكشاف العالم الإسلامي والعربي. وباستمرار، هناك لحظات مفصلية في تاريخ البشرية أو في تاريخ مجتمعات معينة، لا تعود فيها معادلات زمن مضى، صالحةً لمتطلبات زمن قادم.

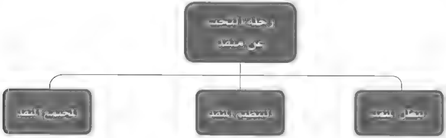
والمنطقة العربية تشهد لحظة فارقة في تاريخها. فلأول مرة عبر ألف وأربعمائة سنة، تعود الجماهير العربية للساحة كفاعل له قول فصل في صناعة المستقبل، وتحديد معادلة السياسة، وهو حدث ستتوالى تداعياته في التاريخ الإنساني، نظراً لأهمية المنطقة، وخطورتها، وكثرة التفاعلات فيها.

كان حدث الثورة العربية المعاصرة في بعض أقطار الوطن العربي مفاجئاً من حيث التوقيت، ولكنه غير مفاجئ من حيث تراكم ظروف القهر والإذلال والإحباط، وبرزت التحذيرات من سيناريو الانفجار الشعبي مبكراً، من الداخل والخارج. ولكن اذان القائمين على الأمر لم تكن جاهزة للاستماع، فتخلقت كل الظروف التي هيأت المشهد لهذا الحدث الكبير.

- من الفرد المنقذ، للتنظيم المنقذ، للمجتمع المنقذ:

لقد عاش العالم العربي والإسلامي حالماً بالبطل المنقذ، وتشبث برموز كثيرة عبر

مراحل النضال العربي في سبيل الاستقلال، ولكنها خذلته: دعا صلاح الدين والمعتصم فلم يستجب له. يمّم بعدها وجهه شطر فكرة التنظيم المنقذ. وولدت التنظيمات الشيوعية والقومية والإسلامية، وانضم الناس وخاصة الشباب لها باعتبارها سبيل الخلاص. فأصبحت هي بذاتها بحاجة لمخلّص، ودخلت دائرة العجز وردود الأفعال. فامتصت طاقات الشباب ولم تنتج فيهم حراكاً. ومن رحم الإحباط غيّرت الجماهير وجهتها لفكرة المجتمع المنقذ. وساعد العصر على توليد العالم الافتراضي. بتنوع مدخلاته وحرية الحركة فيه. وسرعان ما انتقل من عالم افتراضي إلى عالم حقيقي يصرخ ويتنفس في الشارع. وتهوي أمامه قلاع طالما اعتقدت أنها حصينة على الغزو... هكذا بدت بشائر عصر جديد، وتفتحت أحلام جديدة.



لقد كان عصر ما قبل الثورات العربية المعاصرة مليئاً بالآلام: فمن الإخفاقات العسكرية الكبرى من حرب (١٩٤٨م)، إلى حرب (١٩٥٦م)، إلى حرب (١٩٦٧م)، إلى حرب (١٩٧٣). فقد كانت الجماهير باستمرار تواجه بخيبات الأمل. وبتدنّي السقف العربي أمام ترمومتر الغرب. هي المواجهة مع الغرب والتي تعبر عن نفسها بالصراع العربي الإسرائيلي الذي يُعطي المؤشر على تحسن الموقف العربي أو سوءه. ولم يكن ذلك هو الإخفاق الوحيد رغم مرارته: فقد كان إخفاق مشاريع الوحدة العربية، ومعها حتى القدرة على التنسيق في قضايا الدفاع المشترك، والسوق العربية المشتركة، وحرية التنقل في الوطن العربي. وما أشكلها من قضايا قومية. عاملاً كبيراً في الإحباط.

وتبعه إخفاق المشاريع القُطرية واحدة تلو الأخرى، اقتصادياً وتعليمياً وصناعياً وزراعياً، وانتشار الفقر والبطالة والأمية بين جماهير الوطن العربي في أغلب البقاع، حتى عمّت الشكوى، ولم يعد أحد يأمل في حلها في المنظور القريب. ومع انفتاح العالم نتيجة ما توفره الاتصالات الحديثة، تضاعفت آلام الشاب العربي، وهو يرى نظراءه في العالم تتقدم دولهم، وتنافس على الصدارة، وهو واقع تحت ظلمات بعضها فوق بعض، لا يكاد يرى نوراً، وأفقاً مستقبلياً أو تطلّعاً، إلاّ الهجرة، ولو ركب فيها قوارب الموت ليقطع البحار في سبيل الخلاص، أيّاً كان هذا الخلاص.

والإنسان مع رحلة التغيير، ينتقل من تحد إلى تحد جديد: فالعصر الآفل كان سببه عالم أفكار قاتلة، منتشرة ومستفيضة، وعالم أفكار غير محررة ولم تُناقش في النور، وعالم أفكار غير مجربة، تدّعي فيه صلاحيتها للوجود. عالم يمتد عبر التاريخ الطويل لهذه الأمة، يشتبك فيه الحق والباطل، والصواب والخطأ، وتتداخل فيه الخطوط. ومع عالم الأفكار هذا، عالم واسع من العلاقات المتوشة بين فئات المجتمع الواحد، وبين الأحزاب والجماعات، وبين هذه المجتمعات وجوارها الاقليمي، وبين هذه المجتمعات وعالمها الأكبر ومحيطها العالمي، عالم خرابه أكثر من صلاحه، لا توقف انزلاقه إلى حافة الاقتتال إلا آلة القمع التي هي بذاتها جزء من العلة، والأمراض التي تأكل من كرامة البشر وحياتهم. وفوق كل ذلك، عالم مشاريع كبرى، عالقة في عالم الفوضى، في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والصناعة، والزراعة، والتقنية.

حين نقول عصر جديد، فنحن نقول ضمنا، ميلاد وارث لكل هذه التركة، وعليه تبرز مهمة غربلتها، وأخذ النافع منها، وترك الضار. وفي سبيل هذا العمل الجبار، تقف معارك كبرى: فالقديم له سطوته، وله حراسه في الحاضر، كما هو شأن كل

العصور. فهناك (ما وجدنا عليه آبائنا). وهناك سلطة (سادتنا وكبراءنا): وهي قوى مؤسسية، لها حضورها، وتجذّرها في ثقافة المجتمع وبنيته، تسحب بعجلة التاريخ للوراء، وتريد أن تحجب الغد القادم لا محالة.

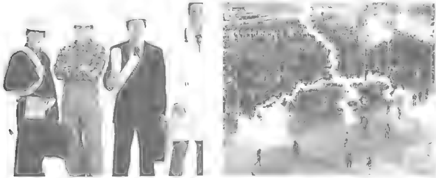
فحملة مشاعل التغيير، لا تنتهي رحلتهم بافتكاك مصير جديد بنظام جديد، بل في الحقيقة تبدأ الرحلة، وهي رحلة شاقة. ولكنها لمن يتأمل حركة التاريخ، ويعلم أنه فاعل في تدافع كونيّ، من أجل الحق والخير والعدل، تحتفظ بنكهة خاصة ومذاق لذيذ، هو مذاق رحيق الغد القادم، وعبير زهوره التي تتفتح.

إن المستعجل لحركة التاريخ يضج ببطء التحولات وعدم بلوغ التقدم. والذي درس حركة التاريخ يستمتع باللحظة التي يشارك في صنعها، ويستمتع بالرحلة ذاتها بدل القلق من نهاياتها.

ها نحن قلنا: إن العصر الجديد الذي تلا عملية افتكاك المصير الجديد: بقدر ما هو جديد، فهو مُحمّل بقضايا الماضي، وأضاف عليها قضايا الحاضر. وإنه انتقال من معارك الافتكاك إلى معارك البناء، وهي لا تقل شراسة عن الأولى. وإن اختلفت طبيعتها.

إن عملية الهدم تحتاج إلى سلاح المدفعية، وعملية البناء والإعمار تحتاج إلى سلاح المهندسين، ومرحلة الهدم تحتاج إلى بعث روح المراغمة والمقاومة، بكل أنواع الخطاب المستفز الغاضب. فهي معركة وجود، هي معركة على خطوط التماس مع الجزء الصلب من آلة القمع وحصون القديم الآفل. أما ساحة معركة البناء، فهي ساحة العلم وقاعات البحث، وورش المصانع ومساحات الحقول. وكثيراً ما كانت الأولى أسهل من الثانية. فقد انجزت الشعوب بدمائها مشروع الاستقلال. وبعد أن خرج المستعمر مطروداً من النافذة، أعادت ذاتُ الشعوب إدخاله من الباب، بسبب قصور الأفكار، وسوء الأداء في المعمل والمصنع والمزرعة والمتجر، وعجزها عن حل مشاكلها بالعقل والحكمة.

جيل مرحلة بناء الأوطان، يلزمه الحماس والروح الوثابة، والغيرة على سمعة الوطن وتقدمه، ويلزمه كذلك عقل راشد ترتبت أوراقه، وانتظمت معارفه، حسن الحكم على الأمور والموازنة بينها.



الناس في هذه اللحظة المبهرة طرفان، ووسط

يائس:

فهناك من هو يائس من كل شيء، محبط قبل أن يبدأ؛ فكل العالم بالنسبة إليه مؤامرة، وهو ضحية، لا حول له ولا قوة فيها، يكفيه من الغنيمة ان يشتم سراق الإبل، ويلعن الظلام، ويحوقل، ويسترجع، وهو لا يكتفي بكم الإحباط عنده بل يسعى لتعميم الشعور بالإحباط بين كل العاملين، المستقبل تحدد عنده مظلما سلفاً، والفعل عنده توقف بداهة، ولم ينجح شيء عبر التاريخ الطويل البعيد أو القريب، ولم ينجح شيء... إنه باختصار، ينتظر الساعة.

حالم:

وهناك في الطرف البعيد الاخر، شخص يعيش في الاحلام: فكل شيء وردي منجز، الأمور ستتم بطريقة قدرية لا دخل للانسان فيها، فالثورات ليست من فعل الإنسان، والنجاحات ليست من فعل الإنسان، انها أقدار تعمل، وستتم على كل حال، عمل أو لم يعمل... جبرية مطلقة... وبما أنها ستتم على كل حال، فلم يتعب نفسه بالعمل؛ فكل

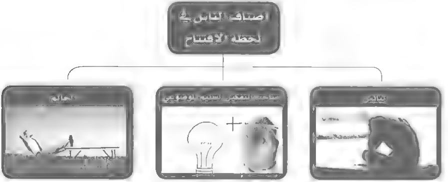
ما عليه هو انتظار قطف الثمار. فهو على مقاعد الانتظار لتنضج الثمار. فنضجها حتميّ، وسقوطها في فمه حتميّ أيضاً.

عامل

وهناك فريق ثالث، يعلم أن الموضوع ليس أمانيَ وأحلاماً. ولكنه معركة وتدافع بين البشر. يسير بالأسباب التي وضعها الله في الكون. ومنها نصرته لعباده العاملين. وتوفيقه وسداده لهم. هذا الصنف يعلم أن النجاح ليس مضموناً للقاعدين. ولكنه مأمول للعاملين.

صنف يعتقد أن الاخر يخطط ويعمل. ويمكر ويستخدم كل ما في وسعه من قدرات للانتصار، وإن هذا حقه كما أن حق الأمة أن تخطط وتعمل. وتستخدم كل ما في وسعها لكسب الرهان. فهو يؤمن أن مكر الآخر يدخل في قانون عام: (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)، (ومكر أولئك هو يزول). (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)، وهي جملة مفاهيم تحصن هذا الفريق من عوامل التعرية والإحباط التي يولدها اختلال ميزان القوة في اللحظة التاريخية. وتدفع به من مقاعد الإحباط إلى مقاعد العمل، وتجنّبه في نفس الوقت مصير الفريق الآخر الحالم النائم. لأنه آمن بقانون كبير يقول: (ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجز به). فكل سوء في العمل. سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو صناعي أو زراعي أو عسكر ي أو عقدي أو عبادي، فله ما يقابله من العقاب.

هذا الصنف الأخير يعلم أن مآلات الأمور مفتوحة على كل الاحتمالات بموجب قانون (ليس بأمانيكم).وهو بهذا، لا يركن إلى الأوهام والظنون. بل يشمّر عن ساعد الجد، ويُعدّ للأمر عدته، وينطلق، يحدوه الأمل، ويُمدّه العمل.



ولما كان التغيير سنة الحياة، بل هو الثابت الوحيد في الحياة، فالعلم والمعرفة متغيران، وبالتالي نظرتنا إلى الأمور كمًا وكيفاً في حالة تشكل مستمر، واحتياجاتنا متغيرة عبر تغير الزمن،كمًا وكيفاً، تبعاً لنمونا ونشاطنا.

ومن اختلاف الأفكار، والتصورات، والمعارف، واختلاف الاحتياجات، يتولد التدافع بأشكاله المختلفة. فأحياناً يأخذ طابعاً حديًا يقود لتعريف صفري للتدافع، كما يحدث في شأن الدول. فالأفراد، إمًا أن يخضعوا للقانون فتقوم الدولة، أو لا يخضعوا للقانون فلا تكون هناك دولة فعلاً. وأحيانا يأخذ وضعاً تنافسياً، كما يحدث عند رغبة طرف ما في الاستقلال، فيتم الاتفاق على فكرة وسيطة، وهي منح الإقليم استقلالاً ذاتياً لإدارة شؤونه، مع بقائه تحت سيادة الدولة الأم. وهنا تم تدبير الاختلاف، بحيث يخرج الجميع فائزاً بقدر من مطالبه.

وحين نسلط البوصلة على فكرة ميلاد عصر جديد مفارق لعصر سابق، فنحن نقول ضمناً أن الجديد بوجه من الوجوه هو اعتراض على القديم. وبقدر جدية هذا الاعتراض وحجمه، يكون الصراع الاجتماعي بين طلائع المجتمع الجديد وهم غالباً القلة المبدعة في المجتمع، وبين حرس القديم المستفيدين منه والمؤمنين به.

وبقدر عمق واتساع دائرة الاعتراض على القديم، والذي تطرحه الفئة المبدعة في المجتمع، تتولد ردود الأفعال المعاكسة كما وكيفا، وتأخذ مداها. فحين تكون هناك حزمة من التغيرات الجذرية، والتي تمس المعتقدات والسياسة والاقتصاد والاجتماع وسائر شؤون الحياة، يكون الصراع صفريا حاداً، كما هو شأن الرسالات السماوية، أو الأيديولوجيات البشرية، ذات الطابع الإطلاقي. فكلها تطالب بتغييرات عميقة واسعة تشمل الأفكار والأوضاع. وبالتالي، من المنطقي أن تكون المقاومة بحجم هذه

التغييرات. ولننظر في قصة موسى عليه السلام وفرعون: لقد كانت مطالب موسى من فرعون مطالب جذرية، فالمطلوب من فرعون، ومن وراءه كل مجتمعه، أن يُغيّروا معتقدهم بألوهية فرعون، وأن يُعيدوا ترتيب الولاية، فيصبح موسى بمقتضى الرسالة والتبليغ مقدما على فرعون صاحب الملك، وأن يُعيدوا تراتيبهم الاجتماعية، فيتساوى قوم موسى بقوم فرعون. انها تغييرات تمسّ الاعتقاد والسياسة والاجتماع. فلا غرابة أن تكون ردود فرعون العنيفة مساوية لحجم التغييرات التي يطالبه بها موسى عليه السلام.

والجديد حين يشق طريقه، يبدأ بدعوة وبيان، عالماً أنه يتحمل مسؤولية ثقيلة: (بلسان قومه ليبين لهم)، (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلاً). تلك هي نقطة الانطلاق: وضوح في المطالب، واستعداد لإنتاج العصر الجديد وتبعاته، ثم تبدأ عملية التدافع، وهي تأخذ مسارات مختلفة، ولكن أسلحتها هي هي: الحجة، والبرهان، والمال، عطاء وسلباً، والقوة الصلبة تلويحاً واستخداماً.

والأنبياء قصصهم معروفة، ومتلوة بتلاوة الوحي، تدلنا على الطريق. فهناك باستمرار قواعد بسيطة لصيرورة الحالة ومآلاتها.

- فكرة قوية تطرح نفسها في فضاء ركود

فكرة قوية، وحالمة، ومثالية تريد عالماً جديداً، أكثر عدلاً، وأكثر براً. فكرة تريد تنظيم فضاء القيم، وفضاء النظم، وفضاء الممارسات، وفضاء المشاريع.

- نقطة ارتكاز بشرية تمتلك التصميم والوعي

يتحلق حول الفكرة، قلة مؤمنة بغد أفضل، وبقيم اعلى، وبسلوك أنقى، تأخذ على عاتقها التبشير بالفكرة، والدفاع عنها، وتوصيلها لمحيطها.

- حراك في الممكن والمتاح، وتطلع إلى فضاءات جديدة باستمرار

هذه الفئة الحالمة التي تعانق بطموحها الغمام، هي فئة: أرجلها على أرض الواقع، تسير بالفكرة من حيث الممكن لا المأمول، فهي تتطلع إلى الحلم الكبير، ولكنها تقبل بالعمل من حيث يمكن العمل. إنها تسير وفق نظرية التخطيط بالرؤية: فالنجم الهادي هو الرؤية، والطريق اليها متعدد، فهي تقبل اختبار الطرق للوصول الى الهدف، وفي كل مرة هي مستعدة لاختبار جديد، لعله يقود إلى الهدف.

- نقطة انكسار إيجابي في المسار

تأتي المحاولات بلحظة انفراج كبرى، تشع الفكرة على محيطها، وتنتقل الفكرة بها إلى فضاءات جديدة، وتبدأ في تخليق عالمها.



وقواعد فعلها متشابهة

- الاعتزاز بالقديم، لأنه قديم

منطق هذا ما وجدنا عليه اباءنا هو السائد، والقديم صحيح لأنه قديم. لا لأن الدليل قام على صحته، هو استنجاد بحمية المجتمع لموروث الآباء.

- مفهوم المقام الاجتماعي، وما يمثله من دور في الحجاج

منطق أن الحق ما يقوله الكبراء والأعيان، فهم أفهم للحق والحقيقة. فالجديد بهذا المنطق لا يتبعه كبار القوم، فهذا دليل خطأه وقصوره: (إن نراك إلا اتبعك الذين هم أراذلنا). وهنا يلعب مفهوم السادة والكبراء دورا محورياً في الحجاج. فالقول الاخر خطأ، لأن الكبراء لم يتبعوه.

- دور المساومة

وفيها يتم الأخذ والرد، والتودد والتحذير حول مقابل المهادنة والترك: (ألم نربك فينا وليداً).

- دور المخاشنة

وفيها يتم الضغط المادي والمعنوي والجسدي على دائرة الأطراف: (وإنا فوقهم قاهرون).

- دور استهداف القلب لوقفه

وفيها ييأس قادة الفعل المضاد من كل الحلول، إلا حل التصفية: (دروني أقتل موسى).



وحركة التحولات اليوم في البلاد العربية، سواء التي قامت بها ثورات، أو تلك التي لم تقم بها ثورات تواجه قوة القديم وقوة القائم.

قوة القديم متمثلة في سطوته على العقول، وحضوره في تكوين الرؤية والرأي، واستدعائه لحل مشاكل الحاضر، وقد عجز عن حل مشاكل الماضي. والقديم منه النافع ومنه الضار.

والقديم الضار هو مجموع الأفكار والآراء، والتصورات التي تشكل منظومة الأفكار القاتلة في سماء التحول والنهضة، والتي تقف عليها الأوضاع الفاسدة، والمؤسسات الفاسدة، وسائر أشكال الإعاقات لعمليات التحول نحو الغد المأمول. هذا القديم في الواقع يرعاه بشر تتوقف مصالحهم عليه، ويستمدون منه وجودهم ومصالحهم، وهم بطبيعة الحال لا يقفون مكتوفي الأيدي أمام حركة التحولات من حولهم، إنه باستمرار، صراع القديم والقائم مع انبلاج عصر جديد.

والمسارات السابقة ليست الا خطوط عريضة، تتحرك عليها تفصيلات كثيرة، ولكنها جميعا جزء من مشهد اليوم، تأخذ أشكالا مختلفة، ولكنها في الصميم فكرة آلية ميلاد عصر جديد.

في بلاد الثورات عدد من الحوارات تدور

١- طبيعة التعاقد الاجتماعي الجديد.

٢- دور الدين في المجتمع.

٣- احتياجات الناس الأساسية، وكيفية تلبيتها.

٤- ملفات الماضي، وكيف تتم تصفيتها.

٥- العلاقات الدولية، وكيفية إدارتها.

٦- التنمية، وكيفية الدخول إليها.

حوار حول الهوية، وحتى تشكلها.

حوار حول وحدة الأوطان أو تقسيمها.

حوار حول القوى الشبابية التي صنعت الثورة، ومكانها في المعادلة.

- وفي بلاد العرب الهادئة، والتي لم تمر بعواصف الثورات:

أسئلة التنمية وتعميم خيرها على الجميع، وأسئلة الحريات والكرامة الإنسانية. ملفات كبرى تحتاج لإرادة حقيقية في التعامل معها، وتحتاج إلى حكمة العقلاء، للتوائم مع واقع متغير، وسرعة تغيره تحيّر حتى القوى الكبرى أو دول المركز، فكيف بدول الأطراف.

الفصل الثاني

جذور الأسئلة الكبرى وقضايا المرحلة

الفصل الثاني
جذور الأسئلة الكبرى وقضايا المرحلة

حين ننظر إلى الأسئلة المطروحة اليوم، مثل: لماذا تخلفنا؟ وكيف ننهض؟ وما مسارنا الاقتصادي؟ وما علاقة الدين بالدولة؟... وما لا حصر له من الأسئلة؛ لا بد أن نغوص في العمق، بحثاً عن تلك الجذور العميقة في عالم الأفكار المنشئة لهذا الواقع المعاق. وهذا ما سنتداوله لصناعة لبنات المشهد الذي نود التحدث عنه ومعالجته.

جذور الأسئلة الكبرى

- عالم الأفكار

العالم العربي هو نتاج رحلة طويلة، ممتدة جغرافيا حين تحركت القوى البشرية من أعماق البادية الى حقول بلاد الأنهار، إلى شواطئ المتوسط والأطلسي. هو نسيج من حركة رمال الصحراء في اتجاه الحقول، وحركة السفن (يونان ورومان وغيرهم) في اتجاه الرمال والحقول. هو امتداد بشري حمل معه أعراقاً شتى؛ عرب، وكرد، وفرس، وروم، ويونان، وطليان، وترك، وأفارقة. وهو امتداد للديانات من فجر التاريخ، بل والملل والنحل بشتى أصنافها، وهو امتداد لعادات البادية، وتراث الاديان، وبقايا الحضارات .

ومع هذا الخليط التاريخي الكبير والزمن الممتد، حافظت كل هذه المكونات على شيء ليس باليسير من خصوصياتها، ولا زالت تشكل الواقع الذي نعيش فيه، حيث بقيت خطوطاً قابلة للانقسام، رغم الزمن والجوار.

- دول وأفكار

لقد جاءت العصور الحديثة بأفكارها، من ليبرالية، وعلمانية، ويسارية، وقومية، ودينية، وتحت ذلك، تصورات عن الحياة، وصورا عن المجتمعات المطلوبة، فأنتجت دولاً

صغيرة وكبيرة، فيها قدر ليس باليسير من التنوع والاختلاف، من التنافر والتجاذب.

- مدخلات من العالم

جاءت التحولات العالمية من نشوء عالم الشمال الغربي القوي، في مقابل عالم الجنوب الفقير والمتخلف، بآثارها وضغوطاتها على العالم العربي الذي يقع في الجنوب المأزوم، فأضافت على ما يعانيه تكوينياً ضغوط الخارج وتجاذباته.

رحلة التشكل لعالم أفكارنا

↓

خليط تاريخي كبير لكل مكون قدر من الخصوصية

↓

افكار العصور الحديثة من ليبرالية وعلمانية ويسارية وقومية

↓

التحولات العالمية من نشوء عالم الشمال الغربي القوي في مقابل عالم الجنوب الفقير والمتخلف

- صراعات الأفكار

في هذا الفضاء الضخم تصطرع أفكار دينية (اسلام، ومسيحية، ويهودية...)، طائفية (سنة وشيعة...)، قومية (عرب، وكرد، وفرس، وزنج، وأمازيغ...)، جهوية (شرق، وغرب، وشمال، وجنوب...)، أيديولوجية (إسلامية، ويسارية، وليبرالية...). وتحت كل فكرة، يوجد ما لا يحصى من افكار فرعية، كل منها تشكل بذاتها تحديا صعبا لأيّ مجتمع. فكل فكرة من هذه الأفكار لو استبطنت فكرة الإقصاء والعنف، لكانت النتائج كارثية، فكيف بكمّ الأفكار مجتمعة؟.

- مجتمع الجزيرة

حين ننظر إلى نهضات الامم، نرى عصرا أفلاً وصل إلى نهاياته. ففي مجتمع الجزيرة مثلاً، كان كل شيء قد توقف: فعالم الأفكار لم يعد يتسع إلا لمآثر الاباء، وجُلها بطولات الغزو والقتال، فإن لم يجدوا بعيدا يغزونه، فلا بأس بقريب بينهم وبينه خصومة:

وأحياناً على بكر أخينا　　إذا لم نجد إلاّ أخانا

- اقتصاد الجزيرة

ذلك حال معظم اقتصاد القبائل العربية، فهو اقتصاد كان يقوم على السلب، ويسمى حينها « كسبا ».. اما الاعتقاد، فحدث ولا حرج مما هو معروف ومشهور. أما الاجتماع والتعليم والصحة والنظرة للعالم وللذات وللمحيط، فكل شيء كان يتهد تشوهات لا يسلم منها إلا القليل. وليس هذا موضع التفصيل، فقد فاضت به الكتب.

- أوروبا الظلام

وأوروبا العصور الوسطى كانت مثالاً للظلام: فقد سادها الجرمان، وهم جنس بدوي أميّ، لا يقرأ ولا يكتب، ففقدت روما معارفها، وسيطرت الكنيسة على عقول البشر وعلى مقاليد السلطة، فصادرت العقل، فلا علم حينها إلا ما في الكتاب المقدس ولو كذبه الواقع والمشاهدة، وصودرت الروح، فلا أحد يتصل مع خالقه إلا عبر الكنيسة، فصكت صكوك الغفران، وأصبح الكتاب المقدس وقراءته حكراً على رجال الكنيسة، وهم من يمتلكون حق فهمه وتفسيره، وصودر الجسد: فأفضل طريق للتطهر والاتصال بالخالق هو طريق شقاء الجسد. ومن هنا، ولدت الرهبنة وقساوة العيش، حتى وصلت ببعضهم لدرجة رفض التداوي، ولأكل الرماد مع الخبز، للوصول لأقصى درجات التطهر.

- اليابان والإذلال

وقل ذلك عن اليابان، حيث تعتبر سنوات (١٨٥٣ – ١٨٦٧) الأكثر خطورة في تاريخ

اليابان الحديث والمعاصر. فقد وجه الكومندور الأميركي بيري إنذاراً إلى اليابانيين بتاريخ ١٤ تموز١٨٥٣م، قضى بفتح الموانىء اليابانية فوراً أمام الملاحة الدولية، سلماً أو بالقوة، وأجبرت اليابان على توقيع اتفاقيات مذلّة ومجحفة بحق اليابانيين، بدأت باتفاقية كاناغوا للصداقة مع الولايات المتحدة الأميركية في ٣١ اذار ١٨٥٤م، وألحقت بها اتفاقيات مشابهة مع دول أوروبية عدة. فشكلت الاتفاقيات الجديدة انتقاصاً حقيقياً لسيادة اليابانيين على موانئهم، وجعلت اليابان في موقع شبيه بالصين، ودول آسيوية أخرى خضعت للاحتلال الأجنبي. ورغم بقائها دولة حرة، بدا التعامل الغربي معها كما لو كانت خاضعة فعلاً للاحتلال.

- **الصين وعصر الضعف**

والصين المعاصرة تدهورت أحوالها إلى ما قبل الثورة (١٩٤٩): فالأمية وصلت لحدود ٨٠٪. وانتشر المرض في الريف حتى أعاق الملايين من الشباب بسبب العمى المبكر، وانتشر الإدمان حتى عَدَ ربع الشعب يومها وعدده أربعمائة مليون، منهم مئة مليون مدمن. وانتشرت الصراعات الداخلية، وقامت الحرب بين الكومنتانج والشيوعين، في الوقت الذي كان الاحتلال الياباني يسيطر على أراضي الصين، والقوى الكبرى تقيد حركة الصين، وتضعها تحت هيمنتها.

نستطيع أن نستمر ونمرَ على الكثير من دول العالم في فترة ركودها، في فترة إذلالها وقصورها. وكل هذه الأمم دخلت في نفق التخلف قروناً طويلة، ولكن في كل تلك الفضاءات سنرى عالم الأفكار المؤسسة للخروج من المأزق هو الأساس.

وهو عالم يتراكم فيه التحول طوراً بعد طور، بحيث يخصب التربة لميلاد جديد.

العرب

ففي نموذج الجزيرة العربية، سنجد رسالة السماء كانت افتتاحاً كبيراً لعالم أفكار مُذهل، أسّس لعلاقة جديدة بالعلم، وجعل عنوان الرسالة: (اقرأ) ..(وعلّم بالقلم)، وجعل كتاب الكون قريناً لكتاب الوحي، فكله قابل للقراءة، وحرّض على التفكّر والتدّبر والفقه، وطرح القرآن عالماً جديداً في عقائده وعباداته وفي علاقاته الاجتماعية، أعاد تعريف الأشياء وتنظيمها، فكان أن استيقظ العرب، وبدأ عصر الترجمة والبحث العلمي، وظهرت بغداد الرشيد عاصمة العلم والقوة ، وولد المعمل والمختبر والمراصد والمستشفيات والرياضيات وحوارات العقل والنقل، وأبدعت العلوم، حتى قيل: إن بغداد لم يكن فيها غلام لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب، بينما بلاط شارلمان لا يوجد فيه إلا القليل الذي يقرأ. وبدون التغيرات الفكرية الكبرى التي أحدثها الوحي، لم يكن لكل ذلك أن يولد.



الروم

ولم يكن ميلاد الغرب المعاصر كما يقال عن القرن السادس عشر حدثاً عارضاً؛ فبعد خمسة قرون من الظلام بدأت من منتصف القرن الخامس، وبدأت تتغير من القرن الحادي عشر، تأخذ منحنىً جديداً. فمع حراك أوروبا في الحروب الصليبية

ودخولها لبلاد العرب. مع نهاية القرن الثالث عشر الميلادي كان كل الجسم المعرفي الذي أنتجته الحضارة الإسلامية قد تمت ترجمته إلى اللغات الأوروبية، وأصبح يدرس في المحافل العلمية الأوروبية؛ فالمنهج العلمي التجريبي لفت نظر روجر بيكون مبكراً، وقاده إلى التمرد على منظومة التعليم الغربية.

ثم توالت عملية انتشار الأفكار؛ فمع اكتشاف الطابعة على يد جوتنبرج في منتصف القرن الخامس عشر، ومنها أصبح التواصل الأوروبي المعرفي سهلاً. فجاءت ثورة كوبرنكس على مسلمات الكتاب المقدس حول بنية الكون. وتبعه جاليليو. ثم ديكارت، وفتح البحث الفكري في سؤال المنهج؛ في العلم، والفكر السياسي، والنظام الاجتماعي. كل ذلك تم قبل عصر الآلة. والقرن السادس عشر لم يكن عصر اكتشاف الالة. بل عصر اكتشاف الإنسان نفسه، كعقل وفكر. وذلك ما مهد لظهور أوروبا التي نعرفها اليوم.

الأفكار المؤسسة لنهضة أوربا

نهاية القرن ١٣ ترجمة الجسم المعرفي الذي انتجته الحظارة الإسلامية والمنهج العلمي التجريبي الذي لفت نظر روجر بيكون مبكرا مما قاد للتمرد على منظومة التعليم الغربي

↓

اكتشاف الطابعة على يد جوتنبرج في منتصف القرن الخامس عشر ومنها اصبح التواصل الاوربي المعرف سهلاً

↓

ثورة كوبرنكس على مسلمات الكتاب المقدس حول بنية الكون وتبعه جاليليو ثم ديكارت

↓

ق ١٦ لم يكن عصر اكتشاف الآلة بل عصر اكتشاف الإنسان نفسه كعقل وفكر وذلك ما مهد لظهور اوربا التي نعرفها اليوم

اليابان

ولو نظرنا إلى اليابان التي نراها اليوم ودرسنا المرحلة التي سبقت مرحلة مياجي أو عصر التنوير، ورأينا حجم التحضير الفكري لليابان الذي تم حتى تستقبل إصلاحات مياجي. فسنرى منذ (١٦٠٣م) وحتى (١٨٦٧م) تحولات فكرية عميقة، يمكن وصفها بأنها فترة تحقق فيها الأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي بعد قرن من الحروب التي سبقت عصرهم، نتيجة االكونفوشيوسية ومبادئها. وتطوّر نتيجة لذلك الاقتصاد، وزاد عدد السكان، وانتشر العمران، وازدهر العلم والقراءة ودور النشر والمسرح. وبسبب المدن الموانئ تكونت طبقة تجارية مثقفة، حافظت على تقاليد تجارية، وقوة اقتصادية، ونمط تفكير استمر حتى اليوم في المؤسسات الحديثة (طبقة شينون): وهي طبقة رعت الفنون والثقافة والشعر والفنون التشكيلية وكل الفنون الجمالية والموسيقى والرسم، وسميت بالثقافة الشعبية، وبرز فيها الكاتب المسرحي تشيكاماتسو مونزيمون، والقصاص إيهارا سايكاكو، والشاعر ماتساواو باشو.

وبلغت دور النشر في نهاية عصر توكوغاوا زهاء ٣٠٠٠ دار، وتحررت من سلطة المطبوعات الدينية ومواضيعها، لتتناول كل شؤون الحياة. وتوسع دور النشر نتج عن توسع القراءة والإقبال عليها.

وتم التواصل مع المنتج الصيني والألماني في كل المجالات، وكذلك الهولنديون وكتبهم، وأثّر ذلك في مسار المعرفة اليابانية منذ أواخر القرن الثامن عشر.

ووصلت مقولات كوبرنيكس الى اليابان، فهزّت أسس المعرفة الفلكية المعتمدة على الصينيين، وأنشئت المعاهد التي تدرس العلوم الغربية: ومنها ٤٧ معهداً تخرّج منها النخبة وزعماء الإصلاح الذين قادوا اصلاحات الميجي. كل ذلك قاد إلى شخصية تتمتع بالانضباط والصرامة مع الحس الجمالي المرهف، ووصل مستوى التعليم إلى ما يقرب من ٥٠٪، وهي ذات النسبة التي أقلعت بها أوروبا في فجر نهضتها. وبالتالي فالتنوير المياجي في اليابان سبقه عصر الفكرة وتنظيم عالم الأفكار.

الأفكار المؤسسة لنهضة اليابان

↓

١٦٠٣ – ١٨٦٧ التحضير الفكري وتحولات فكرية عميقة

↓

الإقبال على القراءة وتوسع دور النشر

↓

نشأت المعاهد التي تدرس العلوم الغربية ووصول مستوى التعليم الى ما يقرب من ٥٠٪

↓

قاد ذلك الى شخصية تتمتع بالإنضباط والصرامة مع الحس الجمالي المرهف

الصين

أما الصين، فيمكن رصد التحولات الفكرية الكبرى فيها لفترة سبقت الفكر الماركسي ووصوله إليها. فمنذ (١٩١١م)، وصلت النخب الصينية إلى استنتاج كبير: أن الثقافة الصينية التقليدية المبنية على الكونفوشيوسية في شقها الديني (الطقوس، وعدم عنايتها بالعلم المعاصر)، وشقها السياسي المطالب بالخضوع الابائي السياسي، هي ثقافة عقيمة. وخرج مفكرون كبار من أمثال تشين دوكسو، وكاي يونبي، ودازهي، وغيرهم. وبرغم أنهم جميعاً أبناء التعليم التقليدي، فقد نادوا بوجوب تغيير فضاء العلم والأخذ بالأنماط الأوروبية، وبوجوب تطبيق الديموقراطية. ومن جامعات

بيجين وشنغهاي، ولدت حركة ثقافية واسعة، وتعددت دور النشر، وصدرت صحيفة الشباب الجديد (١٩١٥م)، وأصبحت الأكثر انتشارا وتأثيرا في الطبقة الوسطى. ومع وصول الفكر الشيوعي الذي أقلم نفسه مع أوضاع الصين، اصبح لنضال الصينين للتقدم فكرةٌ بلورت الحراك الشبابي وقادت الثورة.

ومن هنا نرى بوضوح لا يقبل الجدل أن عالم الأفكار أساسي في إطلاق حيوية المجتمعات، وأن انشاء عصر جديد أياً كان هذا العصر، ما هو إلا نتاج تحولات فكرية عميقة، تمهد لبقية المظاهر المادية الصناعية، والزراعية، والتجارية.

الأفكار المؤسسة لنهضة الصين

↓

قناعة النخبة بعقم الأفكار التقليدية السائدة ونادوا بوجوب تغيير فضاء العلم

↓

من جامعات بيجن وشنغهاي ولدت حركة ثقافية واسعة وانتشرت دور النشر

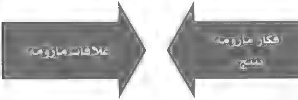
↓

وصول الفكر الشيوعي الذي أقلم نفسه مع أوضاع الصين ،وتبلورت فكرة الحراك الشبابي وقادت الثورة

من يراقب الانفجارات الحادة التي تشهدها المنطقة في الصراعات حول المجتمع وشكله ومرجعيته، وحول فكرة الأقليات وفكرة الأكثريات، وحول حق تقرير المصير

وحق إقامة الدول الجديدة، وحول توزيع الثروة، وحول توزيع الصلاحيات في الإقليم الواحد، كما نشاهد في العراق أو في السودان أو على تخوم الجزائر اليوم: فإنه يعلم عمق تأثير عالم الأفكار على المشهد، وكيف خلق عالم علاقات مشابهاً له على طول الساحة وعرضها.

فعالم الأفكار المأزومة لا بد أن يخلق ما يقابله من عالم العلاقات المأزومة، شئنا أم أبينا؛ فكل ظاهرة اجتماعية هي بنت منظومة أفكار أنتجتها. وللنظر بشيء من العمق لتحدٍ مثل الذي يواجه نسيج مصر الوطني باستمرار، فهناك عنصري الأمة المصرية، الأقباط والمسلمين، وهما مزيج عاش على أرض واحدة لمئات السنين، وهو أمر يطرح السؤال العميق: لماذا لا نجد حتى الآن أرضية صلبة للتعايش بين هذين المكونين؟ ولماذا يسهل إشعال فتيل الفتنة بينهما باستمرار؟ لا شك أن عالم الأفكار الميتة قد نحت خطوطه في عالم العلاقات البينية، ورسم ندوبه على مستوى علاقات الجيرة، وعلاقات الزمالة في المصنع والمزرعة والجامعة، وكل أوجه الحياة. فكيف لا يحدث ذلك، والمحركات الفكرية المغلوطة تقوم بحرث أفكار الشباب، وتعيد إنتاج ذات الأمراض الانقسامية بين ابناء الوطن الواحد؟ لقد عاد القبطي إلى كنيسته ليجد فيها الأمان، في وجه مجتمع بات أكثر قصوراً وضيقاً بالاختلاف. فرغم كل البنية الحداثية الموجودة على قشرة المجتمع، الا أنها عاجزة في كل منعطف صغير عن إخفاء نظام الأفكار الذي يعكس نفسه في صور السلوك الفردي، والجماعي، والسياسي، والاقتصادي.



ولن نذهب بعيداً في فكرة عالم العلاقات المأزومة داخل الفضاء الإسلامي نفسه، فها هنا يمتد التاريخ أيضاً بين التصور السني والتصور الشيعي لألف وأربعمائة سنة. ومع ذلك عجزت الأمة على أن تنتج حالة وئام بيني الفريقين. ويكفي إلقاء نظرة على تاريخ بغداد للبغدادي، لنرى عمق التأزم في هذه العلاقات، وهي اليوم لا زالت عالقة تنتظر صوت العقل والحكمة. والموضوع لا يحتاج إلى مواعظ، ولكنه يحتاج إلى

عمل فكري شاق، وعمل جاد يرتب عالم العلاقات، وينظم الحقوق والواجبات، ويؤسس لمسار علاقات مختلف بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد.

- عالم علاقات ماليزيا نموذجا

عالم علاقات داخلي رائع ضربته ماليزيا، فهي قد بدأت بعد استقلالها بتعاقد اجتماعي اعترف بالعنصر الصيني كمكون أساسي في ماليزيا، وبالمكون الهندي كمكون أساس في ماليزيا، وبالمكون الملاوي كمكون أساس في ماليزيا. وعلى ذلك وضع حزب أمنو قواعد الحياة السياسية المتساوية في ماليزيا، ووضع الطوائف على قدم المساواة في المشروع الوطني. وحين جاء الوقت لاختيار القيم الوطنية، اختاروا أن يتوافق المواطنون على احترام القيم الاسيوية. وواجهتهم مشكلة أن الملاويين المسلمين كانوا الأقل تعليماً، والأقل ثروة بين الأعراق المختلفة على الجزر الماليزية، مما سيعني اختلالات ستقود لصراعات مستقبلية ولو بعد حين، فتم التوافق على أن المواطنين من أصول ملاوية سيعطون فترة امتياز في التعليم وفي الثروة، حتى يتم التساوي بين جميع مكونات المجتمع، وحتى يضمن المجتمع الاستقرار. وقد نجحت ماليزيا إلى حد كبير في ذلك، وهذا الذي قاد إلى النجاح الكبير الذي حققته ماليزيا حتى الآن. فقد استفادت من كل المكونات الاجتماعية؛ فالصينيون كقوة مالية متعلمة، وذوي علاقات بالمحيط الصيني الاسيوي، وفروا التمويل والتقنية والعمالة الهندية الراقية، والقيادة الرائدة لمهاتير محمد، كفلت لماليزيا قاطرة كبرى للتقدم. ولك أن تقارن ذلك بالدول التي حولت الاختلاف العرقي والديني إلى كارثة تحول بين الاستقرار والتقدم. وصنعت ماليزيا عالم علاقاتها الاقليمية والعالمية، بطريقة جعلت حركتها في المحيط الاقليمي والدولي أسهل وأكثر احتراما في ظل استقلالها. وما ذلك إلا لوجود فكرة صحيحة في عقل القيادة والطبقة الحاكمة.

عالم علاقات ماليزيا

تعاقد اجتماعي اعترف بالصينين والهنود والملاويين كمكونات أساسية لماليزيا

إعطاء ميزة تعليمية واقتصادية للمكون الأقل تعليما الأقل ثروة (الملاويين) لضمان المساواة وعدم حدوث نزاعات

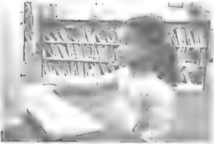
استفادت ماليزيا من كل المكونات الاجتماعية فالصينيون كقوة مالية متعلمة وذو علاقات بالمحيط الصيني الآسيوي وفروا التمويل والتقنية والعمالة الهندية الراقية

ان الدول في سعيها للتقدم، تريد ان تحافظ على وجودها أولا، كوحدة ترابية في وجه ضغوط التفتيت، وعلى قوة المركز في ضوء مطالب الأطراف وجدبها. كل ذلك يتم فيجعل من الصعب على الدول أن تصل الى وضعية الاستقرار، التي هي مقدمة التنمية وشرطها.

وبالتالي، فحلم الجماهير بالحصول على لقمة العيش الكريمة والتعليم والصحة والوظيفة والخدمات والمرافق، اصبح أكثر صعوبة في ضوء التحديات الجسام التي تواجه هذه المجتمعات.

ومن هنا جاء مشروع النهضة، لا ليشخص الحالة او يشتكي منها، بل ليعتبرها حالة قابلة للعلاج على مستوياتها المختلفة، لو توفرت الارادة العميقة والوعي بالمتطلبات.

لم يكن غريبا أن نرى عالم المشاريع المأروم في بلاد العرب. فلا ملفات النهضة منظمة، ولا نسق الأفكار متجانس، وبالتالي، هي مهام تنتظر ابطالها. وبنظرة واحدة لاهم المشاريع، وهي التعليم، سنجد واحدا من أهم معالم الأزمة والتحدي.



فالعالم اليوم يتكلم عن الامية، بمعنى عدم معرفة التعامل مع التكنولوجيا، بينما لا زال العالم العربي يحبوا مع امية الحرف، ولا يوجد من بين جامعاتنا من يرتقي ليكون ضمن التصنيفات العالمية، ولا حتى القارية في كثير من الاحوال. وقل ذلك عن مجالات، مثل الصناعة والزراعة، والقدرات الدفاعية. ولا زال ملايين العاطلين عن العمل تتضاعف اعدادهم في كل ارجاء الوطن العربي؛ فلا التنمية حدثت، ولا الاستقرار حدث، ووصل الامر ببعض الدول ان أصبح عندها تهديد وجود، ووحدتها الترابية قابلة للتجزُّء والتمزق.

- عالم مشاريع ماليزيا نموذجاً

وحين ناخذ نموذج ماليزيا وهو نموذج قاصر حتى الان. ولكنه صالح للمقارنة، فصلاح بعض الافكار السياسية والاجتماعية والدينية قاد الى عالم مشاريع مادية، يمكن ان نلحظه في الاقتصاد والعائد المادي على الانسان الماليزي. فالناظر للاقتصاد الماليزي يلحظ ذلك بسهولة.

توازن الهيكل الاقتصادي، وكفاءة العمل، وحسن الإنتاج:

إن الاقتصاد الماليزي قد مرّ بتغيرات هيكلية سريعة منذ الاستقلال عام (١٩٥٧م)، والان تُعد من أكثر الدول المتقدمة في العالم الثالث. وفي السنوات الخيرة حققت واحداً من أعلى معدلات النمو التي بلغت سنوياً ٨٪. وبالاعتماد الأساسي في الإنتاج الاقتصادي على المطاط والقصدير وزيت النخيل والأخشاب كمنتجات أساسية التصدير، تحولت ماليزيا الى كونها حالياً قوة اقتصادية ناشئة تقوم على التصنيع، والذي يمثل ٢٧٪ من إجمالي الناتج المحلي. وقطاع الزراعة حالياً يساهم بمعدل ٢. ١٧٪ من إجمالي الناتج المحلي، حيث يمثل المكانة الثانية بعد قطاع التصنيع.

وفيما يتعلق بالصادرات يساهم قطاع التصنيع بنسبة ٦٠٪ حالياً. ويُعد المحرك الأول للنمو الاقتصادي. وقد بلغ معدل دخل الفرد في ماليزيا ١٣٨، ٢ دولاراً أمريكياً. بما يمثل واحداً من أكثر الدول المرتفعة الدخل بين العالم الثالث ومقارنة بالقوى الاقتصادية الناشئة الأخرى، مثل تايوان وكوريا وهونج كونج.

وماليزيا، لكونها مجتمعاً متعدد الطوائف العرقية، فقد كان من الضروري ضمان استمرار النمو الاقتصادي جنبا إلى جنب مع الاستمرار الاجتماعي. وبالتالي فإن الخطة الاقتصادية الجديدة التي يتم العمل بها منذ عام (١٩٧٠م) قد وضعت أسس الهندسة الاجتماعية التي حققت استقراراً سياسياً قوياً، وبالتالي مكنت الاقتصاد من الرخاء والانتعاش وتحقيق توزيع عادل للدخل يتوافق مع التوازن العرقي. وقد ساهم ذلك أيضاً في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية على مدار العشرين عاماً الأخيرة منذ عام (١٩٧٠م).

إن تأزم عالم الأفكار، وعالم العلاقات، وعالم المشاريع، ولّد ردود أفعال مختلفة في المنطقة العربية، وأسئلة كبرى، فالكل يريد الخروج من هذا المأزق التاريخي. وسوف نطل على عالم القضايا والأسئلة لنستكشفه.

عالم مشاريع ماليزيا

معدلات النمو بلغت سنوياً ٨٪

- التصنيع والذي يمثل ٢٧٪ من إجمالي الناتج المحلي،
قطاع الزراعة حالياً يساهم بمعدل ١٧،٢٪ من إجمالي الناتج المحلي

بلغ معدل دخل الفرد في ماليزيا ٢،١٣٨ دولار مريكي بما يمثل
واحداً من أكثر الدول المرتفعة الدخل بين العالم الثالث

قضايا المرحلة وأسئلتها

والمرحلة الحالية من عمر الأمة تُعيقها أسئلة في غاية الأهمية، هي بنت كل هذا التراكم التاريخي من القضايا، مضافا إليها قضايا اللحظة وهمومها. ولعل من المناسب ان نلقي نظرة على بعض هذه القضايا:

١ العاجل والآني مقابل الإستراتيجي طويل الأمد

أسباب الثورات

لقد جاءت الثورات العربية المعاصرة، فاسقطت نظما، وفتحت أفقا، وطرحت أسئلة كبرى. وإسقاط النظم في بعض البلاد العربية بقدر ما كان مفاجئاً، بقدر ما كان



متوقعاً؛ فقوانين الثورة واحدة عبر التاريخ، ومركبها الصلب واحد. فحين يرتفع معدل الوعي الاجتماعي في جزء مهم من المجتمع، وينتشر الفقر في كتلة المجتمع الغالبة، تزداد حدة المطالب الاجتماعية بالتدريج. ولوقف هذه المطالب، غالباً ما يكون الحل الأمني هو أسهل الحلول وأقربها الى عقلية الممسك بزمام الأمور. وبالتدريج، تتسع دائرة الفقر والتدمر، وتزداد الة العنف والقمع شراسة، وتصل في مرحلة ما إلى فقدان قدرتها الردعية. ومع فقدان الرشد السياسي، تتحول المواجهة بين اطراف المجتمع الحاكم والمحكوم الى معركة إرادات. وفي هذه البيئة تتوالى محاولات كسر الصمت، فتظهر الاحتجاجات وأشكال العصيان وأشكال الانفلات الأمني. وعندها يكفي حدث بسيط في أشعال الهشيم الذي تركته الممارسات الخاطئة.

قادمون جدد ووعود

حدثت الثورات، وقامت نظم جديدة، أو شبه نظم لما تقف على رجليها بعد، وفتحت حلبة السباق السياسي، وانطلقت عجلة المنافسة، وانتصر من انتصر، وخسر من خسر في الجولات الأولى للمشهد. ومع حمى التنافس، والرغبة في الوصول للسلطة بأي ثمن، بعد طول حرمان لكثير من القوى الحالمة بالسلطة والمعتقدة انها العصا السحرية التي تنجز بها مهمة النهوض، قدمت الوعود للجماهير: فكل شيء سيتم وفي أسرع وقت، فقط على الناخب ان يضع صوته لهذا او ذاك، وينتظر فوزه ووصوله إلى مقعد السلطة، وحينها ستتحقق أمانيه وينال مراده.

خطأ الخطاب

لم يقل للناس ان لحظة العمل والكفاح قد حانت، وان المرحلة الأصعب لاستنقاذ المستقبل قد أزفت، وان سقوط النظم ليس إلا خطوة اولى في طريق الالف ميل، وان قوة الدفع للهدم شيء، وقوة الدفع لبناء المجتمع الجديد شيء اخر، وأن عملية البناء تحتاج إلى قدر مضاعف من الصبر والقوة، وقدر اكبر من التلاحم الوطني، وقدر أكبر من التنازلات والتوافق.

لم يتجرأ احد ان يصارح الجماهير بالتحديات الكبرى التي ستواجه الاقلاع، ولم يكن احد مستعداً ان يقدم على هذه المغامرة، فيخسر السباق

عدم الثقة بالجمهور

لم تولد بعد الثقة في العقل الجماهيري: فما زالت الأفكار الكبرى تتعلق بقدرات الأحزاب، والمنظمات هي قادرة وحدها على الفعل، والجماهير هي كمّ مهمل في معادلة التحول

لم تتم قراءة الدرس الكبير أن الجماهير استطاعت ان تفتح المستقبل بدون الحاجة الى المنظمات والتنظيمات، وان كل هذا المشهد تم في زمن عجز الجميع فيه عن الحل، فولد المجتمع الحل، وساق إليه كل التنظيمات والاحزاب، وأزال سحب التردد وعدم اليقين، وأطلق طاقات الجميع... كل ذلك لم يكن كافيا للوثوق في المجتمع، ومصارحته بالحقيقة.

الثورة في العمق هي هدم الاسس الفكرية للاستبداد، وإسقاط المستبد

والمجتمعات التى انجزت الثورة احسنت في عملية الهدم، ولكن عملية البناء شيء اخر، وهنا، ياتى الوعى القيادي المطلوب بمتطلبات خلق وعي مكافئ لمتطلبات المرحلة، وعي يخترق بنية المجتمع الفكريه، ويؤسس للعامل الاجتماعى الحقيقي الذي هو صمام الآمان لنجاح الثورة.

> فالثورة حين تقف عند تغيير النخبة الحاكمة، تكون قد أنجزت انقلاباً، ولا يتحقق مسمى الثورة إلا بالوصول إلى الجذور العميقة التي أنتجت التخلف، ومكنت للاستبداد المندحر. وعي لا يسمح للاستبداد بالعودة تحت مسميات جديدة.

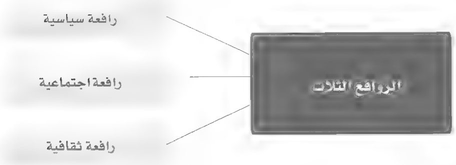
وإنتاج وعي مكافئ للمرحلة ليس مُتطلباً ثانوياً اختيارياً، بل هو ضرورة قصوى، لا غنى عنها لو أردنا التقدم وصناعة الغد المشرق. ولكن المطلب الثقافي المعرفي التنويري تدفعه من دائرة الضوء متطلبات الأمن والنظام ورغيف الخبز وأزمات الكهرباء والوقود، وهي متطلبات قادرة على إسقاط الحكومات وتغيير النظم مرة أخرى، مما يجعلها تأخذ الأولوية المطلقة والأولوية الوحيدة، وتتراجع بقية الضروريات هذا لو اعترف بأنها ضروريات.

وهذا النوع من المقاربات لا شك خاطئ: فالعقل يقول بأن نستمع إلى صوت الجماهير المطالبة بأهم احتياجاتها. والعقل يقول أننا يجب أن لا نغفل متطلبات المشروع الأساس الذي يؤمن المستقبل، وجوهره هو إنشاء حالة الجاهزية للنهوض.

إن منطق إمَا الاحتياجات الآنية أو الاحتياجات الثقافية منطق خاطئ. والمنطق الصحيح هذا وذاك معاً. فالمتطلب الثقافي بإمكان الحكومات انتداب من يصلح له، وبقليل من الموارد يمكن عمل المعجزات. فالمهم في المشروع الثقافي هو وجود الوعي والحماسة والقدرة على التواصل. ويمكن أن تلعب وزارة الإعلام والتعليم والثقافة والشباب دوراً محورياً في إنتاج وعي ثقافي جديد لو وجدت الإرادة والخطة المحكمة، دون أن تعطل حركة الحكومات في مواجهة الآني والعاجل.

الروافع الثلاث

الحقيقة الموضوعية البسيطة أن النهضة تحتاج إلى رافعة سياسية، ورافعة اجتماعية، ورافعة ثقافية: فبالرافعة السياسية يتم التخطيط والتمكين، وبالرافعة الاجتماعية يوجد الدعم والمساندة للحكومات، وبالرافعة الثقافية تزول الأفكار المعيقة وتزرع الأفكار الحية، وبعدها يتم الإنجاز وتتحقق الأماني.



٢- دور الدين

منظور شامل

المجتمعات البشرية مسكونة بالدين من حيث تدري أو لا تدري؛ فلا يوجد مجتمع إلا وله منظور كوني عميق يرى من خلاله الحياة، ويفسر حركتها منظور يتواصل به مع كل الظواهر الكونية، من حوله يتواصل مع الصور والرموز، ومع المكتوب والمقروء، ومع مظاهر الطبيعة من بشر وحجر وسماء ونجوم ورعد وبرق ونار وطاقة وحركة وسكون. منظور يفسر به ما يسر وما لا يسر، ما يحب وما يكره، فداخل عقل الإنسان قوالب تفسيرية، تشكل ردود أفعاله اتجاه الأشياء من حوله.

مصادر المنظور الشامل

هذه القوالب التفسيرية، إما أن تكون أديان منزلة، او بقايا اديان، أو صناعة بشرية محضة، أو خليط من كل ذلك. وكل مجتمع في فجر نهضته يطرح الأسئلة على تلك القوالب، فيرى ما الذي يشل من فاعليته فيها ويقلل فرصه في الإقلاع. وما الذي ينفعه منها في الإقلاع.

الوحي المنزل / العقل البشري

ونحن في بيئتنا الإسلامية كبشر، عندنا ديننا الذي نعتز به، وعندنا التراث الذي نشأ في ضوء القرآن والسنة؛ وهو بصيغة أو أخرى شارح للأصل مُبيّن له، ولكن طبيعته

مختلفة من حيث هو منتج بشري يستقي من الوحي، وليس ذات الوحي. وهذا الجزء من الدين اعتوره في مسيرة التاريخ الكثير من الوهن والضعف، ونشأت في ضوئه آفات كبرى من الاحتراب الداخلي ومن سوء العلاقة بالعلوم وسوء العلاقة بين المشتغلين بالعلوم، وآفات متعلقة بالعدل والحرية والكرامة الإنسانية، بل وآفات متعلقة بتوازن العلاقة بين الدنيا والآخرة.

كل ذلك يحتاج لحفر معرفي عميق يزيل الركام عن ناصع الدين، وقيم الرفعة والسمو التي أرادها الخالق جلّ وعلا فالدين لا يعمل في واقع البشر ويؤدي وظيفته إلاّ بشروط موضوعية في الفهم والإدراك، والقدرة على صياغة منهج التواصل مع المنزل والمقدس.

بين كمال الدين وبين قصور الفهم وإشكالية التنزيل

ولعل قائلاً يقول: إن الدين الإسلامي فيه كل معاني السمو والرفعة: من العلم، والعمل، والعدل، والحرية، والكرامة الإنسانية، وأسس فاعلية الإنسان ومسؤوليته... وكل ذلك صحيح، ولكن الناس لا تتعاطى مع النص مباشرة، فهي تستقي من الشروح والوسطاء المفسرين والنقلة، وهم كسائر البشر يعتورهم سوء الفهم وسوء التأويل، والنقلة لا يستقون من الكتاب والسنة إلا بواسطة، وفي كل الأحوال، فالناتج يحتاج إلى مراجعة.

الإجابات كثيرة، المهم ماذا نختار منها ؟

والحقيقة أن ما نحتاج أن نبحثه ليس بالكثير كما يتوهم البعض، ولكنه جملة قضايا أساسية تشغب على فاعلية الإنسان واستجابته للتحديات، وهي متعلقة بالعلاقة بالعلم والمعرفة، وبعلاقته بالمختلف من البشر، وعلاقته بالعمل، والعبرة ليس بوجود الإجابات، ولكن في أيَ الإجابات استقر في الوعي الجمعي، وأصبح يشكل مرجعية عميقة للأفكار.

الجذور العميقة للتخلف

إن بحث ظاهرة غياب الفاعلية في العلم والمدرسة وفي المصنع والمعمل، وغياب النظام

والنظافة، وغياب العدل والكرامة الإنسانية، وغياب العلاقات الإنسانية السوية مع الذات ومع المختلف، في بيئة تتغنى بأن دينها يعلمها كل ذلك، لحريَ بطرح سؤال الجزء المفقود من المعادلة. وهو بدون شك يقع ذلك الجزء من اللاوعي الذي خطته بحبر سري مقولاتٌ متداولة، وأفهام منتشرة، ترضعها الأم لأبنائها، والمدرس لتلاميذه، والواعظ لمستمعيه، والسياسي لمناصريه... شيء ما نرفض الحديث عنه، وهو يشكل عقدة الموقف، وربما لعب سوء فهم الدين دوراً كبيراً فيه.

القفز على الأفكار المعيقة اليوم لا يعني أنها لن تعيقنا غداً

يعتقد المتعجل ان هذه القضايا يتجاوزها الناس بسبب حركة الحياة ودينامياتها، والتي تفرض إيقاعها على البشر. وهذا صحيح من وجه.

ولكن شواهد التاريخ تقول بأن كل ما نفشل في تفكيكه فكرياً يُعاود الظهور بشكل أعنف ولو بعد حين

وما خروج جماعات التكفير، وجماعات العنف الأعمى، وجماعات قسر المجتمع، في بلاد لم يكن يتخيل وجودهم فيها إلا ثمرة إهمال تلك الأفكار الجنينية وعدم تفكيكها. وأخطر من ذلك عدم مطاردة أفكار الانسحاب، وعدم الاتقان في العمل، وافتقاد النظام، حتى بين الفئات المتعلمة والأكثر دخلاً.

ومن هنا، يمكن القول أن الاستفادة القصوى من تلك الطاقة الروحية الضخمة التي يطرحها الدين في حياة البشر يلزمها تخليص الدين من كل ما علق به عبر العصور، من ضيق الأفهام، وقصور التصورات.

٣- المنظور الشامل / النظام الشامل

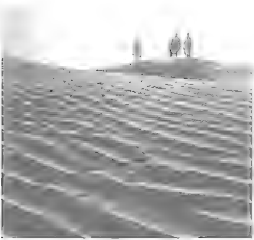
فكرة النظام / فكرة التراتيب

يشيع في الأوساط الإسلامية عموماً، أن الدين نظام شامل لجميع شؤون الحياة.

وذلك معنى يحتاج إلى توضيح: فكلمة نظام في اللغة تعني ضم الأشياء إلى بعضها كخرزات العقد تضم إلى بعضها، وهو معنى لا يقود إلى فكرة النظام المتداولة اليوم لترجمة كلمة system الغربية، بل يقارب كلمة order، أي: ترتيب، أو تراتيبية. فكلمة نظام في اللغات الغربية حين يقال: نظام سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو أيّ نوع من النظام، يقصد به الية، فيها مدخلات، وعمليات، ومخرجات، ونظام تحكم. فحين يقال: نظام سياسي مثلاً، يقصد به مطالب الشعب، وهي مدخلات للحكومة. والحكومة تقوم بعمليات اتخاذ القرار، وتصدر القرارات: وهي المخرجات التي تتناول قضايا الناس، وهي تثير عند الناس: إما الرضى، أو السخط الذي تلتقطه أجهزة الأحزاب، أو حراس البوابة لتعيده إلى الحكومة في شكل مطالب. وحين تستجيب الحكومة، تحصل على الرضى، ويعاد انتخابها، وحين لا تحصل على الرضى يأتي الناس بحزب اخر لإدارة شؤون البلاد، وحين ترفض الحكومة التنحي يحق للشعب الثورة عليها. فها هنا نشهد كل الديناميات من المدخلات والعمليات والمخرجات ونظام التحكم وصيانة النظام، متوافرة بشكل واضح وصريح، وهو ما يطلق عليه كلمة نظام. ومن هنا، يمكن القول أن الإسلام بهذا المعنى لا يقدم نظماً مسبقة، باستثناء نظام العقائد، والمواريث، والعبادات.



ومن هنا، يمكن فهم خدمة يوسف في دولة الهكسوس: فهو قد استصحب معه منظور الإسلام الشامل، ولم يستصحب معه نظاماً معداً سلفاً. وقل ذلك عن المسلمين في الحبشة: فرغم أنهم في بيئة غير مسلمة، ولكنهم يستصحبون معهم ذلك



المنظور الشامل، وليس نظاماً بعينه. ومن هنا أيضاً، نفهم أن الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم عبر الأجيال طبقوا نظماً مختلفة. وفي كل الأحوال كانوا يستصحبون ذلك المنظور الشامل، ويعيشون به.

والسؤال: ما الذي يمكن أن نصف به مجموعة المبادئ العامة التي يقدمها الإسلام في النظام الاقتصادي والسياسي والإعلامي والتعليمي والصحي إن لم تكن بالتعريف السابق نظاماً؟ الحقيقة أن أقرب تعريف لذلك هو فكرة المنظور الشامل: فالإسلام يُقدّم منظوراً شاملاً للحياة، تفصيلياً في مجال الاعتقاد والعبادات، ثم يتسع في بقية مجالات الحياة، وخاصة عند ملامسته للفضاء السياسي.

ومن هنا تأتي إشكالية الحالة الإسلامية في محاولتها البحث عن نظام الحكم الإسلامي، واختلافها في تفسيره. فالبعض يراه في صيغته الطالبانية، والبعض يراه في صيغته السودانية، والبعض يراه في صيغته التركية، والبعض يراه في صيغته التحريرية، والبعض يراه في صيغته الملكية، والبعض يراه في صورة خيالية. والحقيقة البسيطة أنه مرتبط بعدد من المتغيرات: فهناك مجموعة قيم موجهة، وهناك احتياجات المجتمع المحددة، وهناك وعي أفراد المجتمع المرتبط بمدخلات عصرهم ومعطياته.

الإسلام يقدم منظوراً شاملاً ولا يقدم نظاماً

ومفهوم المنظور الشامل يعطي كل التجارب مشروعيتها في ضوء التزام الأسس القيمية. ويزيل الالتباس الذي ساد الخطاب الإسلامي عقودا طويلة. وولد تصورا بوجود نظام جاهز ينتظر التطبيق. وقل ذلك عن بقية جوانب الحياة التي يدعى فيها وجود نظام مصمم محدد. وفي الحقيقة أن الدين يتسع لحياة الناس وتطورها. ومن الصعوبة أن يحصر الإنسان في شكل واحد. إن ناسب مكان وزمان وظرف معين. لم يناسب اخر.

٤- النهضة.التنمية

التنمية جوهرها اقتصاد. والنهضة جوهرها تحولات عميقة في الفكر:

حين نذكر التنمية، تخطر في بالنا باستمرار مؤشرات التنمية المتنوعة. وتمتلئ المنشورات الإحصائية منذ مدة طويلة بالمؤشرات الاقتصادية للتنمية. كإجمالي الناتج القومي أو إجمالي الناتج المحلي أو متوسط دخل الفرد. ولكن الاهتمام بدأ مؤخرا بالمؤشرات الاقتصادية – الاجتماعية. أو تلك التي تقع على الحدود بينهما. كالعمالة. والبطالة. والأجور. وظروف العمل. ودخل الأسر وإنفاقها. وتوزيع الثروة. والخدمات التعليمية والصحية. والأمن الاجتماعي. وتمكين المرأة. والأقليات. وشفافية النظام السياسي... إلخ. وفكرة التنمية والنمو هي بنت فكرة تقسيم العالم الى دول متقدمة. ودول نامية. ودول دون مستوى النمو الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية. وانقسام العالم الى معسكر شرقي وغربي وثالث. وبالتالي أصبحت المفاهيم الاقتصادية المرتبطة بمستوى التصنيع هي المعيار التصنيفي. وتطورت منها كل النظريات المعروفة في التنمية. مثل نظريات التحدث. ونموذج المراحل الخمسة. والنظرية البنيوية. وأخيرا نظرية التنمية البشرية ومؤشراتها. والتي ركزت على راس المال الاجتماعي. ورأس المال التوجيهي. ورأس المال البشري. واقتصاد الرفاه... إلخ.

ففكرة التنمية رغم تطورها، تدور حول المنظور الغربي للتقدم باستمرار، وهو ينتهي للمفهوم الاقتصادي.

ومن هنا، نستطيع أن ننظر إلى فكرة النهضة، والتي تتجه في الواقع للانسان أولاً، وترى عنصر الفكرة والتفكير هما المحرك الرئيس للتنمية والتقدم. فبوابة فكرة التنمية هي الاقتصاد، ومنه تحاول الوصول للانسان. بينما بوابة فكرة النهضة هي عقل الانسان ووجدانه، ومنها تحاول الوصول إلى التنمية والتطور. وهما مدخلان مختلفان لذات البيت. ولكن تصورهما يؤدي الى مسارات مختلفة، وجوانب عملية مختلفة، ومقاربات مختلفة، ولذلك فمؤشراتها الحقيقية لا تكمن في الاقتصاد، ولكن يمكن تلخيصها في أربعة موشرات تنتج عن تطور عالم الأفكار ونضجه، وتتمثل في:

فالنهضة في جوهرها هي وعي الإنسان، وإطلاق ممكناته، وتحرير إرادته

١ قوة الشعور بالذات وممكناتها. فأول مراحل الاقلاع يولد فيها شعور متنام عند إنسان المجتمع، بالقدرة على الفعل والرغبة في التحول: فإنسان النهضة هو إنسان الجدة والاكتشاف، والبحث والنظر، وإعمال العقل، والانطلاق الى أبعد مدى، وكما تظهر قدرات الأفراد في الدولة المعاصرة حين نتبنى الدولة مشروعا قوميا اسرا لخيال الجماهير، ينبع ذلك الشعور الجمعي بالهوية المشتركة، والرغبة في الإنجاز، والعبور لعالم جديد.

٢ تجدد العلاقة بالعلم والتعلم. فالتعلم ليس فقط مدارس وشهادات ومباني ومنشئات، ولكنه روح وعلاقة خاصة بالكتاب وبالمعمل وبمراكز البحث، وعلاقة باحتياجات المجتمع النامي والمتجدد، هي دورة حياة وليس استهلاك للمعرفة في سبيل الشهادة، فلا يعود الطالب ينظر إلى الكتاب المدرسي باعتباره عقوبة يريد أن يتخلص منها بعد اخر امتحان، ولا المدرس يشعر أنه مكره على التعليم لأنه لم يجد عملا آخر... إن التعليم هنا متعة وتطلع، وصورة عن ممكنات تحتاج من يفتحها.

٣ الاهتمام المتزايد بتحديث نظم العمران. وفي لحظة الإقلاع تحتاج المجتمعات إلى

تجديد نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسائر أوجه الحياة: فالفنون والآداب والمعارف كلها تتحرك، وتنتج فضاءات جديدة.

٤- الاهتمام بتحصيل أسباب المنعة الذاتية. فالمجتمع الجديد يتنبه إلى مسؤوليته عن مصيره وعن مستقبله: فالأمن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والغذائي وسائر متطلبات الوجود من الصناعة والزراعة والتقنية، كلها تعود إلى دائرة الاهتمام.

إن مرتكز النهضة استثارة الإنسان كمدخل لتحريك ما حوله، فهو في القلب مشروع ثقافي روحي معرفي يتناول ذلك العمق من الإنسان الذي يعيد إنتاجه وتشكيله، وهي مسألة في ديناميكيات الحياة تأخذ أجيالاً. فبالتقدم الأوروبي بدأت عملية التحولات تأخذ مسارها من القرن الحادي عشر الميلادي صاعدة الى القرن السادس عشر، عصر النهضة وصناعة الإنسان الجديد، ولم تتمر نهاياتها المعاصرة إلا في القرن التاسع عشر. واليابان بدأت عصر نهضتها منذ القرن السادس عشر، وأثمرت تقدمها في القرن التاسع عشر، ثم بعد الحرب العالمية الثانية، ولكنها مع العصور الحديثة ونشوء التخطيط المركزي، كوسيلة لاختزال الزمن في جميع المسارات: ومنها مسار انتاج الإنسان الجديد واطلاق ممكناته.



٥- الحضارة وآلية المشاركة

فالصين نجحت في إنتاج إنسانها بعد تجارب مريرة منذ (١٩٤٩م)، وإنتاج الإنسان الكوري والسنغفوري والماليزي. كل تلك تجارب مهمة للدراسة وأخذ العبرة، ولكل مجتمع خصوصيته، ولكن ما استطاعه بشر، يمكن لغيرهم إنجازه والتفوق عليه.

والعالم العربي مسكون بالفكرة الامبراطورية. فمقولة استاذية العالم وأشباهها لها مدلولان : مدلول معرفي بمعنى التقدم العلمي واعطاء النموذج المعرفي. والسلوكي الكوني الذي يصبح معيارا عالميا تتلمذ عليه البشرية وتقيس نفسها به، وهو نابع من شعور المنطقة بإمكانية التماهي مع المطلق وهو الدين الكامل. فيصبح هناك النموذج الكامل الذي يمثله، والذي بالضرورة سيكون بسبب كماله مرجعا بشريا عاماً. ذلك تصور البعض.

ولكن المدلول العملي والمنطقي. وقبل الوصول الى مثل هذه المكانة، وعلى فرضية إمكانية إنجازها، هو الدخول في المشاركة الكونية بنوع من التميز: فمن لا يفلح أن يكون استاذا في كل الجوانب. فلا بأس ان تعرف مرجعيته في جانب من الجوانب. وهذا ما تعمل عليه البشرية اليوم أن تحتفظ لنفسها بجانب، أو أخر تتفوق فيه وتبرع، وتصبح قبلة العالم في هذا المجال أو ذاك: فامريكا في التكنولوجيا، واسبانيا في طب العيون، وألمانيا في مجال، واليابان في مجال، وسنغفورة في مجال. وهكذا.

٦- قوى الفعل الاجتماعي

لقد آن الأوان لكل المهتمين بالنهضة في التفكير بتمكين المجتمع ومؤسساته، والتخلي عن فكرة التمكن والسيطرة على قوى المجتمع ومؤسساته.

وفكرة التمكين بتقوية المجتمع ومؤسساته تنبع من فكرة خيرية المجتمع: فالمجتمع المثقف الذي يراعي القانون ويعمل من خلاله ويعرف حقوقه وواجباته، والذي يشعر

أنه امن تحت مظلة جامعة وهي الدولة. يختلف عن المجتمع الذي يخضع لهيمنة فريق، له أجندة خاصة يلبسها طابع العموم، فيقصي بعدها من يرى رؤيته، ويستقطب من يقبل وصايته. وهي فكرة قاعدتها تقوم على فكرة أيديولوجية: قوامها حزب أو جماعة تضع خططها للهيمنة، مستفيدة من فكرة الحرية لخنق الحرية، ولا تكفي هنا النوايا الحسنة. ففي الفكرة الأولى: توجد فكرة تأسيسية، وهي ان ضمانة المستقبل هو المجتمع القوي والدولة الحاضنة لكل التنوع، وفي الفكرة الثانية: ضمانة المستقبل هي وجود حزب أو جماعة تسيطر، وحزب مهيمن على الدولة ومكوناتها.

ولا نجاة حقيقية إلا بتطور المجتمع القوي والدولة الحاضنة لكل مكوناتها، والتي يأمن فيها الجميع ويشعر الجميع فيها بالرضى وتكافؤ الفرص.

٧- الأيديولوجيا

والأيديولوجيا هي منظومة أفكار يصنعها مفكر ما، تقوم بدراسة الواقع، والاستشهاد بالماضي، ورسم صورة واعدة للمستقبل. وفي ذات الوقت، ترسم اليات التوصل على افتكاك نظام القوة. والأيديولوجيا بطبيعتها ترى أنها تمتلك الحق في الهيمنة، فهي باستمرار اجابات نهائية في وعي معتنقيها، وهي تعلو على كل ما سواها.

هذا النوع من التفكير، قليل منه مفيد، وكثير منه ضار. فالقليل منه يعطي شخصية وتوجهاً لحامليه، ولكنه عندما يكون كثيفاً، يقود إلى عدم رؤية الواقع، وعدم رؤية التنوع، وعدم رؤية المجتمع كبشر لهم حق الاختلاف، ويحرم المجتمع من قدرته على التوافق الاجتماعي. فالتوافق هو عبارة عن نظام تنازلات مشتركة، وسلامة نوايا حول المستقبل. والأيديولوجيا الكثيفة تحول دون ذلك قطعاً. ونحن هنا حين نميز بين الأيديولوجيا الكثيفة والأيديولوجيا الصحية، لأننا نعتقد أن الانسان كل إنسان له نظام قناعات خاص به، وله اختيارات ككائن عاقل، وان ذلك مطلوب، فهو يعطي شخصية الإنسان قوامها وتماسكها، ولكن نظام القناعات حين يتضمن قسر الآخرين في اتجاه معين أو قسر المجتمع على اختيارات محددة، فهو جزء من مشكلة كبرى تهدد سلامة التعايش الاجتماعي، وخطر محقق للاستقرار، ومن ثم للتنمية.



٨- الدولة المدنية والمرجعية الإسلامية

حوارات المرحلة تمتد لتطرح سؤال الدولة وعلاقتها بالدين، وهو سؤال ملتبس في الساحة، ولا زالت تعقد حوله المناظرات. وكلمة الدولة المدنية مفهومة في سياقها التاريخي بمعنى دولة المواطنة الكاملة، والتي يخضع فيها الجميع لقانون واحد ينظم شؤونهم، وفيها الشعب مصدر السلطات، ونماذجها المعاصرة متوافرة في كل مكان. ولكن حين نضيف كلمة (ذات المرجعية الإسلامية)، تبدا عملية موائمة مع مستويات متعددة يحيل إليها النص الغامض(ذات مرجعية إسلامية). فهناك من يعود إلى مستوى القيم الحاكمة (العدل والحرية والمساواة..)، ليقول ان هذا هو المقصود. وهناك من يعود إلى مقولات تراثية عن الدولة ووظيفتها (إقامة الدين وحراسته).أو (إقامة الدين وسياسة الدنيا). وهناك من ينزل إلى مستوى التفصيلات ليسأل عن الحدود، واحكام أهل الذمة، وولاية المراة وشؤونها، ودار الحرب ودار الإسلام والجهاد، وولاية غير المسلم، ومفهوم المساواة... وبالتالي، لا غرابة أن يحدث الاختلاف والتنازع، من حيث إن كل هذه القضايا الفقهية لم يتم تجاوزها بشكل يقطع النزاع، ولا يحتمل ذلك في المستقبل المنظور. وهى عين القضايا التي تشغب على فكرة مدنية الدولة التي تتم المناداة بها.

إن الدولة المعاصرة هي بنت تطورات كبرى تمت في فضاء الفكر السياسي والتجربة الإنسانية، والفقه الإسلامي توقفت عطاءاته منذ قرون متطاولة، وتفكيك المفاهيم وإعادة بناء المناهج قبل مسألة المنتج تحتاج لأزمنة متطاولة

وحركة الحياة لا تتوقف فلقد تم تجاوز الكثير من الأحكام التي جمدت: كتعليم المرأة وعملها، والتصوير، والمذياع، والتلفاز، والتلفون النقال، والكاميرا.

عبر حركة الحياة لا من خلال الفتوى. ولو انتظرت المجتمعات حتى ينتبه الفقيه إلى سعة النص وممكناته، لطال بها الانتظار. ولكن الناس تحركت وفق احتياجاتها، وتركت الفقيه بعدها يعيد ترتيب أوراقه ويتكيف مع إيقاع الحياة.

فالدولة التي يتحدث عنها الكثير من المتحاورين تحت عنوان: «الدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية» يمكن أن نطلق عليها (دولة المساكنة): وهي عبارة عن الدولة الإمبراطورية التاريخية التي يمتلكها إمبراطور او حاكم ما باسم القوة أو باسم الدين، وعلى الناس أن يعيشوا في حماه، ويرضوا بما يقسمه لهم. وفكرتها أشبه بطاولة مستطيلة يجلس على كرسي مرتفع فيها طرفها الإمبراطور. وهو من يأذن للبقية بالجلوس ويحدد أماكن الجلوس. وهو من يهب، والناس في ذمته وعهدته. ويكفي أن يكون كريماً وهاباً ليحمدوه. فالخيار الآخر هو إخراجهم من أرضه ومملكته.

والدولة الحديثة أو (دولة المواطنة) هي بنت عصرها، تقوم على التوافق بين مكوناتها. هي أشبه بأن يجلس الناس ابتداءً على طاولة مستديرة، متساوين لا أحد منهم في ذمة الآخر. ليحددوا شكل الوطن الذي يكون فيه الجميع في ذمة الوطن المشترك.

والفارق بين الفكرتين بعيد: ففي النموذج الأول يوجد طرف يعتقد أنه متفضل ومتسامح، وعلى الآخرين أن يستشعروا تضحياته وكرمه. وفي النموذج الثاني، الناس متساوون، وكل منهم يضع مخاوفه ومطالبه، ويقدم تنازلاته من أجل استقرار الوطن ومسيرته.

دولة المساكنة

يمتلكها امبراطور أو حاكم ما باسم القوة أو باسم الدين، وعلى الناس أن يعيشوا في حماه ويرضوا بما يقسمه لهم. فكرتها أشبه بطاولة مستطيلة، يجلس في طرفها الإمبراطور على كرسي مرتفع وهو يأذن للبقيّة بالجلوس ويحدد أماكن جلوسهم، وهو من يهب ويعطي؛ الناس في ذمته وعهدته، ويكفي أن يكون كريماً وهّاباً ليحمدوه، أو الخيار الآخر هو إخراجهم من أرضه ومملكته. (يوجد طرف آخر يعتقد أنه متفضل ومتسامح وعلى الآخرين أن يستشعروا تضحياته وكرمه).

دولة المواطنة

هي بنت عصرها تقوم على التوافق بين مكوناتها وهي اشبه بأن يجلس الناس ابتداء على طاولة مستديرة. متساوين ولا أحد منهم في ذمة الآخر، ليحددوا شكل الوطن الذي يكون فيه الجميع في ذمة الوطن المشترك. (الناس متساوين وكل منهم يضع مخاوفه ومطالبه ويقدم تنازلاته من اجل استقرار الوطن ومسيرته).

٩- مفهوم الأقليات

فكرة الأغلبية والاقلية فكرة متعلقة بالبرلمانات ونتائج الانتخابات. ولكن قبل الانتخابات وأثناء تكوين الدساتير توجد فكرة المواطنين وقواعد المواطنة الجامعة. والذي يحول دون تصور فكرة المواطنة من وجه هو فكرة الأقلية والأغلبية، وهي في هذا السياق تستبطن فكرة القوة والضعف، وحق القوي في وضع قواعد اللعبة، وتفضله على الضعيف وكرمه معه.

والفكرة خاطئة من وجهين: الوجه الأوّل: أنها تناقض مفهوم المواطنة وروحها،

والتي تجعل للجميع صوتا مسموعا لكونهم مواطنين. وهذا في حد ذاته قيمة كبيرة. والوجه الثاني: وجه مصلحي؛ فمفهوم القوة لا يمكن أن يختزن بالعدد، بل يشمل قضايا قد تغيب عن أنظار المستعجل. وجوهرها الإمكانيات المالية والتواصلية والمعرفية لهذا الاخر وعلاقته بالإقليم وبالعالم، وقدرته على حشد العالم من حوله، او القوى المؤثرة من حوله. فأقلية صغيرة تجد دعماً إقليمياً وخارجيا، تصبح تهديد وجود لإقليم كامل، كما حدث في انفصال جنوب السودان.

والدول لكي تستفيد من مواردها وتنفع بها سكانها بحاجة إلى تأمين الوجود وتأمين الاستقرار، ومن ثمَ تأمين التنمية. والأقليات إما أن تكون عنصر تهديد وجود حين تستشعر الإقصاء والتهميش، واما أن تكون عنصر زعزعة للاستقرار حين تستشعر وضعاً غير عادل، ومعاملة من الدرجة الثانية. وعندها تتضائل فرصة البلاد في التنمية والتقدم.

ولكن حين يتم استيعاب احتياجات مكونات المجتمع كما حدث في النموذج الماليزي، تحولت قوة الأقليات إلى رافعة كبرى سددت قصور الكتلة الأكبر، ودفعت بالبلاد إلى التقدم، حتى أصبحت مثالاً عالمياً.

١٠- مشكلة الوطن وأثر السماح للقوى الإقليمية في بسط نفوذها في قلب المشروع الوطني

لقد تحدثنا عن عالم الأفكار المتوشة، وكيف ينتج عالم العلاقات المتوترة، والتي بدورها تقود إلى مشاريع مريضة، وفي الوطن العربي بسبب تعقيد المشهد الداخلي في كل بلد. وبسبب تزاحم المشاريع الدولية والمتاريع الإقليمية وتصارعها، نرى باطراد ذلك النمط من العلاقات العابرة للحدود، والذي يجعل مكوناً وطنياً ما، ونتيجة لضغوط الواقع الداخلي يمد يده إلى الخارج. ويمكن رصد ذلك في كل أنواع النزاعات في الوطن العربي.

ولا يكاد يسلم من ذلك الا أقل القليل. فالمشروع الوطني تتم التضحية به من اجل أحلام الفرقاء المختلفين؛ فهذا يمد يده إلى الدولة (أ)، وهذا الى لدولة (ب)، وذلك إلى الدولة (ج). ومع الوقت، يصبح ذلك أمراً طبيعياً ومبرراً في سياقات مشروعة وبحجاج واضح... أليس الكل يفعل ذلك؟... فماذا يبقى لأيَ وطن حين يصبح مثل هذا الأمر مشروعاً؟...

إن التعاقد الوطني السليم واحد من أهم ركائز صناعة الأوطان.

ولصناعة الروح الوطنية لا بد من صناعة عالم الأفكار المناسب لها. عالم الحقوق

ولينظر كل هؤلاء إلى الدول التي يمدون أيديهم إليها. هل تقبل هي أن يتعامل أبناءها مع الخارج ويمدون أيديهم للتعاون مع أعدائها أو الطامعين فيها؟ فلماذا يكون لتلك الدول كرامة وطنية ولا يكون لهؤلاء كرامة وطنية، ولا قيمة لأوطانهم عندهم؟ إن الروح الوطنية مطلوبة من الجميع.

الصحيحة الذي ينشئ عالم العلاقات السوية، ثم يقوم مشروع الوطن على أكتاف أبنائه، وبكامل استقلالهم.

ولا تنتهي قائمة القضايا، ولكن تلك أمثلة لأسئلة ومعوقات تحول دون التقدم.

الفصل الثالث

التساؤلات العامة والخاصة

الفصل الثالث

خلال رحلة مشروع النهضة التي بين يديك، برزت اسئلة كثيرة من الجمهور؛ وبعض هذه الأسئلة عامة تختص بجملة الافكار التي يطرحها المشروع، وبعضها خاص حول ما يثار عن المشروع من تساؤلات واشكاليات. نعتقد انه حان الاوان لترحل معنا في هذه التساؤلات، فنزداد معا وعيا وادراكا لطبيعة المشروع، وكيف نصبح فيه أكثر فاعلية.

حين بدأ التفكير في سؤال النهضة ومتطلباتها، لم يكن قد خطر في البال ما هو قائم اليوم. فالفكرة بدأت من نقاشات عادية في أيام الدراسة والعمل في بريطانيا، والتي لم تكن مختلفة كثيرا عن نقاشات امتدت من المرحلة الثانوية في قطر، مرورا بسنوات الدراسة في القاهرة... أحاديث تتعلق بمستقبل الأمة ومسارها.

طرح سؤال كبير: أهذه انطباعات عابرة؟ أم نتجت عن دراسة معمقة في القضية مسار البحث؟ (هل جهودنا للنهضة كافية لإحداثها ؟). يومها برزت فكرة قراءة فكرة النهضة ومستلزمات إنتاجها، ومضت على سنوات الدراسة ما يقرب من عشرين سنة، قبل أن تظهر محصلة الأفكار في سلسلة أدوات القادة، وفي مشروع النهضة وبرنامج عمله.

ولكن نقاشات بريطانيا أخذت طابعا اخر؛ فبعد أن أقر الحضور باننا لما نبلغ بعد حقيقة التحضير لنهضة...

نحن هنا، هي المؤسسة التي أطلقت المشروع في نسخته الأولى، وهي مؤسسة بيت الخبرة التي أصبح اسمها: تنمية للدراسات والاستشارات، وهي مؤسسة خاصة بدأت بثلاثة أشخاص، ولا زالت تعمل بطاقم صغير: ففيها شخصان يشرفان على العمل، وقد يزيد العدد لثلاثة أو ينقص لاثنين بحسب الظروف. أما الجمهور المستهدف، فهو واسع وعريض: إنه يشمل كل المهتمين بشأن الأمة، من حكومات، وأحزاب، وهيئات، وجماعات، وافراد. وبين المؤسسة التي أطلقت المشروع وبين جمهورها يقع المشروع؛ وهو عبارة عن حزمة افكار وتصورات لإعادة تأهيل القيادات في مجتمعاتنا، لممارسة دور نهضوي. والسؤال الكبير: أليس الناس بعملهم في المؤسسات المختلفة هم يساهمون وإن لم يعلموا بمشروع النهضة؟ وهذا القول يصح من وجه، ولا يصح من وجه اخر: فهو صحيح، فكل عمل وإن قل، هو مساهمة في التنمية، ولكن وعي الإنسان بالمهمة والدور والمرحلة يجعل أداءه مختلفاً، وينقله من مجرد أداء العلم إلى درجة الإحسان والتفوق على ذاته. فالإنسان ابن المعنى، وهو حين يجد نفسه في مشروع حقيقي تتغير نظرته إلى الأمور، ويختلف عطاءه وجهده.

والأفراد والمؤسسات والأحزاب والجماعات والحكومات حين تفقه أنها تعمل في مشروع له أسسه المعرفية، فإن أداءها ينتقل من مستوى أداء العمل إلى مستوى تحقيق النتائج القصوى. والسؤال الذي يتخلق من رحم السؤال الأول، أن الوطن العربي والمسلم هو امتداد كبير، وفيه ما يقرب من مليار ونيف من البشر، وفي الوطن العربي وحده ما يقارب الأربعمائة مليون من البشر، فكم تحتاج عملية النهضة من البشر؟ ومن يقود المجتمعات البشرية؟ تشير الدراسات في الصفوات أن صفة اتخاذ القرار لا تزيد عن ٢ ـ ٥٪ من أيّ مجتمع، وهؤلاء يشكلون القاطرة التي تسحب ورائها بقية أجزاء القطار. وبالتالي، فالوصول إلى هذه الكتلة في أيّ مجتمع، وتنويرها، وإمدادها بالأدوات المختلفة للقيادة، هو ما يصنع الفارق على تقدم المجتمعات أو تخلفها.

للإجابة على هذا السؤال سنتحدث عن عدة محاور:

اولا : تحليل الواقع الذي نعمل فيه

ثانيا : فكرة المساهمة التي يقوم عليها المشرع

ثالثا : الدور الذي نقوم به

رابعا : قضايا العمق

أولا: تحليل الواقع الذي نعمل فيه

١- في كل المجتمعات العربية يوجد الشعور بحالة التخلف والتوق الشديد للعودة لدائرة الفعل الحضاري، بغض النظر عن نشاط هذه المجتمعات أو ركودها.

٢ ويحمل المجتمعات باستمرار العنصر البشري، ويمكن أن نلمح فيه فئة الشباب وفئات أخرى.

٣ وتحت البشر يقف نظام الأفكار أو قضايا العمق، وفيه تكمن الأفكار الميتة والمميتة التي شلت فاعلية المجتمعات الحضارية.

٤ ولإطلاق فاعلية المجتمع على المدى القصير، يجب تقديم وصفة للإنسان، تسعفه في وجه متطلبات اتخاذ القرارات، وتمكّنه من المشاركة الفاعلة.

٥- ولتحرير المجتمع على المدى المتوسط والطويل، يجب علاج نظام الأفكار التي أنتجت التخلف.

ثانيا: فكرة المساهمة التي يقوم عليها المشرع

ومن هنا ولدت فكرة المساهمة، فلا يستطيع أحد أياً كان، أن يدّعي قدرته على احداث النهضة منفرداً، ولكن من المؤكد أن الجميع يستطيع أن يشارك في صناعتها. ولذلك، نبدأ القول بان طريق النهضة يحتاج إلى ثلاثة مفاهيم، نحولها إلى مبادئ كبرى تسمح لفكرة النهضة ان تتحرك في فضاء رحب من التعاون، وقدر غير قليل من التنافس الصحي. ونقصد بالتنافس الصحي هو بذل كل فرد أو مؤسسة أو جماعة أو حكومة اقصى الجهد أن تقدم أحسن ما عندها للتفوق فيما تقوم به هي. في نفس الوقت تستشعر اهمية ما يقوم به الغير، وبانها وحدها لا تستطيع تحمل العبء. فهي تتمنى التفوق وتسعى له، وترجو للاخرين النجاح. ولنعد إلى المفاهيم الثلاثة الكبرى، وسنسميها: مفهوم الفسيلة والتمرة والثوب.

١-الفسيلة

هي علامة الأمل، ومغادرة اليأس، ومقاعد الانتظار، وعلامة المسارعة في الخير.

أخرج البخاري ـ في الأدب المفرد ـ من حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها» لا يبادر الكثيرون للعمل، لشعورهم باليأس وعدم الجدوى. ومشروع النهضة بحاجة لجرعة كبيرة من الأمل الذي يدعو للعمل، فالحديث يقول لنا: لا يضيع شيء عند الله «فليغرسها».

٢-التمرة

هي علامة على أن الإنسان عليه أن لا يتهاون في أي صدقة أو عمل صالح مهما صغر.

والحديث الذي رواه البخاري: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، يشير الى هذا المعنى العظيم؛ ففي ضوء ضخامة المهمة المطلوبة من الأمة وهي إحداث نهضة شاملة في حياة الأمة، يتقاعس الكثيرون عن العمل، بحجة أن ما سيقدمونه صغيراً، ولن يؤثر في سير الأحداث ولا في سد الاحتياجات. ومفهوم التمرة واحد من أهم المفاهيم الضرورية لإحداث النهضة.

٣- الثوب

هو علامة على فكرة المساهمة، وان لا ينظر الانسان على انه يقوم بجهده بمعزل عن جهود الاخرين. فهو لم يكلف غلا بحمل الطرف الذي يستطيع من الثوب، ويترك الباقي لغيره.

وفي قصة الرسول صلى الله عليه وسلم والحجر الاسود حين اختلفت قريش على من يحمله ويضعه في مكانه، وتحاكموا للرسول. فاخذ ثوبا ووضع الحجر الأسود عليه، وطلب من كل فخذ ان تحمل طرفا من الثوب، فرفعوه ووضعه عليه السلام بيده الشريفة في مكانه. وحجر النهضة يحتاج أن يرفع بكل طاقات الأمة.

ومشروع النهضة الذي نؤمن به لا يقوم بجهد فرد ولا مجموعة ولا حزب ولا طائفة ولا حكومة، هو جهد مشترك لمجتمع كامل يتساند لاحداثها، ويتنافس في أن ينال الأجر الأكبر والنصيب الأوفر من الخير.

ثالثاً: الدور الذي نقوم به

ومن هنا نشأت فكرة الدور الذي يمكن أن تلعبه مؤسسة تنمية للدراسات والاستشارات كمساهمة في مشروع نهضة الامة، ويمكن تقسيم ذلك الدور إلى مهام:

١- **المهمة الأولى:** هي تجهيز نظرية عمل تجيب على الأسئلة العملية، لإطلاق ممكنات المجتمع والفرد، وهو ما عبرت عنه كتب ادوات القادة، والتي صدر منها حتى الان ثمانية كتب، هي: «من الصحوة إلى اليقظة – «قوانين النهضة – فلسفة التاريخ – الذاكرة التاريخية – التفكير الاستراتيجي – قواعد الممارسة السياسية العملية» «خطوتك الأولى نحو الاقتصاد» – «بداية جديدة» – «الجيوبوليتيك ومستقبل الوطن العربي . والسلسلة تحاول ان تقدم ما يضر الجهل به من المعارف التي يحتاجها القائد وبشكل مركز. وبقى من السلسلة تحت الإصدار، تقريباً الثلثان حتى تكتمل بمجموعها، وهو اثنان وعشرون كتابا، وكتاب تاسيسي.

٢- **المهمة الثانية**: وفيها تم إعداد برنامج إعداد القادة ٣٦٠ درجة، وهو برنامج مصمم لتوصيل أربع حزم معرفية للمستفيدين: تبدأ بحزمة أولى، بعنوان «نظم عقلك»، وتُعنى بوضع قاعدة تأسيسية تشمل: النهضة مفهوماً، وتفصيلات. والتاريخ الذي أنشأ ظاهرة التخلف والفكر الإنساني وتطوره عبر العصور. واستخدام المنطق وأهميته، ومن ثم الاقتراب من الظواهر الاجتماعية وفلسفة مناهج البحث. وحزمة ثانية بعنوان: «فهم الواقع»، وفيها يتم تدارس التفكير الإستراتيجي، وشروط اتخاذ القرار السياسي، والمنظور الجيوبوليتيكي للعالم، وعلاقة الاقتصاد الكلي بحياتنا اليومية. وتهدف الحزمة لبناء إطار للتواصل مع الرسائل السياسية والاقتصادية المتدفقة من حولنا. ثم تأتي الحزمة الثالثة، وهي تطرح أهمية الدين في منطقتنا، ومحاولة فهم الأسباب التي جعلت الدين غير فاعل اليوم في إنتاج مجتمعات قوية رغم انتشار مظاهر التدين والمتدينين. وأخيرا حزمة رابعة تُعنى بالعمل في الواقع، وكيفية إدارة هذا الواقع.

رابعا: قضايا العمق

وتبقى قضايا العمق، وفيها تكمن الأفكار القاتلة، وقد عملنا على وضع قائمة أولية بأهم القضايا التي تحتاج إلى معالجات عميقة، وقمنا بوضعها في الموقع، حتى يستطيع طلاب النهضة والمهتمين بشأن الأمة رؤية الصورة كاملة لجملة القضايا العالقة في ثقافتنا، ووضعنا فيديو شارحاً لكل ملف على موقع النهضة، وعرضنا تقديم الاستشارة لكل جهة تريد حمل الملف مع وضع تصور يضع خارطة طريق للانتقال بالأفكار إلى عالم الواقع. فكل ملف يمكن أن يمر بسلسلة إجراءات تنقله من عالم الأفكار إلى الواقع، وهي:

١- مرحلة إنجاز البحث.

٢- مرحلة وضعه للتداول العام، وإدخاله دائرة الضوء، عبر النشر وعقد المؤتمرات واستصدار التوصيات.

٣- مرحلة التفعيل، ووضع التوصيات في موضع التنفيذ.

٤ مرحلة قياس الأثر.

ولنضرب مثالا على ذلك. فمثلا: قد يعالج أحدهم قضية مثل علاج مشكلة الصراعات البينية في التاريخ الإسلامي وامتداداتها في الحاضر. كأساس لعدم التسامح. ولكن البحث سيذهب إلى الرفوف. ولن يستفيد منه أحد. كما هو شأن العديد من البحوث الان. ولكن حين يكون البحث جزءا من مشروع إحياني يعلم القائمون عليه ان إنتاجه ليس الهدف إنما العائد الاجتماعي هو الأساس، فلا بد من إيجاد الطرق لوضعه في دائرة الضوء. عبر وضعه في مجال التداول عبر المؤتمرات وسائر وسائل التواصل حتى يمكن استصدار توصيات عملية متعلقة به، ومنها يتم **الانتقال إلى مرحلة تفعيل التوصيات، ومن ثم مرحلة قياس الأثر.**

إن ملفاتنا الكبرى في الغالب لا تسكن على مؤسسات معروفة. ويمكن الوصول إليها. ومعرفة أين وصل البحث حتى يمكن البناء على الجهود. وقد حان الأوان أن يقوم المجتمع بإنتاج موسساته التي تعالج. متخصصة. قضاياه الكبرى. ويقترح لها حلولاً عملية.

ما هو بالتحديد دور المؤسسة في موضوع النهضة؟

↓

اولا : تحليل الواقع الذي نعمل فيه

↓

ثانيا : فكرة المساهمة التي يقوم عليها المشرع

↓

ثالثا : فكرة المساهمة التي يقوم عليها المشرع

↓

رابعا : قضايا العمق

إن فلسفة إدارة المشروع طرحت سؤالين: الأول متعلق بهدف المشروع، وقد تمت الإجابة عليه: بأنه خلق نهر جار ينتفع به من يشاء، بالطريقة التي يشاء، وفي الوقت الذي يشاء، وبالتالي، تولدت فكرة طرح الكتب في السوق، وتسهيل التواصل معها عبر الشبكة الإلكترونية، وتوفير المواد السمعية للمشروع على موقع النهضة وقناتها الإلكترونية، وطرح فكرة التدريب للجميع: أفرادا، ومؤسسات، وأحزاباً، وحكومات بدون تمييز، بحيث ينتفع بالمادة أكبر عدد ممكن بدون وضع أيّ عوائق للتواصل مع المشروع. والسؤال الثاني: ويقوم على سؤال، مداره: ما علاقة المستفيدين بالمؤسسة بعد تلقي المشروع؟

وهنا كان هناك خياران: الأول هو فلسفة التحكم وبها يتم الربط التقليدي بين الأفراد والمؤسسة بنوع من الالتزام، كما يحدث في التنظيمات التقليدية والأحزاب.

و الخيار الثاني: هو فلسفة التمكين، وتقوم على تقديم المادة للمتلقي، وبعد أن يتمكن منها، يسير في سبيله ويعود إلى مؤسسته أو مشروعه أو حكومته، ليقدم خبراته وما استفاده، دون أن يكون هناك رباط سوى الرابط الفكري والاهتمام الا في حالة الرغبة في السؤال والاستشارة. وقد تم اختيار فلسفة التمكين، باعتبارها الأصلح لهذا النوع من العمل.

إن المشروع حين ننظر إلى ما يمكن أن يقدمه لمشروع نهضة الأمة وإعداد كوادر النهضة وتنظيم فضاء الأفكار، يحتاج إلى موارد كبيرة، ولكنه وحتى اليوم، يقوم على جهود محدودة وموارد محدودة، ولم يكن ذلك ناتج عن امتناع عن تلقي العون من الحكومات، ولكن ربما أن الفكرة لم تصل إلى الحكومات، أو أنها وصلت ولم تلق اهتماماً. وفي كل الحالات لم يتم دعم المشروع، بل هو مشروع قام ولا زال يقوم على الجهود الفردية المؤمنة بفكرته، وينتشر بقوة الدفع الذاتي؛ فلا توجد له قناة، ولا صحيفة، ولا برنامج يمثله في فضاء الإعلام.

مشروع النهضة الذي نطرحه، هو مساهمة تصب في العمق الفكري لموضوع النهضة، وتسعى لإنتاج كم بشريٍ قادر على إحداث النهضة في المجتمعات العربية و الإسلامية. وما سأذكره هنا خصائص واختيارات للمشروع:

تحديد الموضوع الذي نعالجه: فنحن نشتغل في تغير الفكر التأسيسي للمستفيدين من المشروع، في أربعة فضاءات جوهرية. هي ما تعالجه الحزم الاربع التي يمر بها المستفيد.*

فلسفة العلاقة بالمستفيد من المشروع: فنحن نعمل على تمكينه من المعرفة، ثم يعود ليوظف طاقته في خدمة مؤسسته او مجتمعه أو حكومته أو حزبه أو جماعته.

قصر مدة الإعداد في المشروع: فكل الحزم لا تستغرق اكثر من ستة عشر يوماً لا غير، وبواقع أربع ساعات يومياً.

نوعية المادة: المادة المعرفية تم تجهيزها عبر ما يقرب من العشرين سنة. فهي ليست مواد منفصلة، ولكنها جسم مترابط من المعرفة. يقيم جسوراً بين مختلف الفنون.

تقنية التدريس: تستند تقنية التدريس لتبسيط المبني على فكرة النماذج التي يسهل استيعابها والاستفادة منها.

تلخيص التوقعات من المستفيدين: كن مشروعا، او كوّن مشروعا، أو ادعم مشروعاً.

ترتيب الملفات التي تحتاج إلى عمل: لو اراد عامل أن يعرف ما هي أهم القضايا التي تحتاج لأبطال يحملونها للمساهمة في صناعة نهضة الأمة، فسيجد دون عناء قائمة كاملة بالاحتياجات.

حرية المبادرة: لا يدّعي المشروع أنه سينوب عن الأمة في سد الثغرات، بل هو يرشد

* انظر صفحة 58



للثغرات، ويترك لأبطال العصر سدّها، ويعينهم بالاستشارات في إنجاز مهمتهم.

الانعتاق من الحزبيات: لا يشترط المشروع في المستفيدين منه أي شروط، أو قيود حزبية، أو جهوية، أو طائفية، أو غيرها... فهو يعين كل من يريد خدمة الأمة، بدون تمييز.

توفر الإسناد: فعبر توفرالكتاب والمادة الصوتية والموقع وصفحات التواصل الاجتماعي يسهل على المستفيد تحصيل المعرفة والتواصل بشأنها.

قابليات المشروع: فالمشروع منفتح على الأقلمة، لمناسبة ظروف كل مجتمع واحتياجاته.

روح المشروع: انفتاح المشروع على كل العاملين في حقل النهضة، والتعاون معهم بدون تمييز.

لا ينصب المشروع نفسه حكما على المشاريع الخيرة في الساحة. ويعتقد القائمون عليه أن كل المشاريع بما فيها هذا المشروع، هي جهد بشري، فيه من الخير الكثير، وفيه من قصور البشر ونقصهم الكثير. وبالتالي، يتسع الأمر للجميع ليقدموا مساهماتهم، ويسع المستفيدين المفاضلة بحسب احتياجاتهم:

فرب شخص يجد ضالته في مشروع دون آخر. واحتياجات الناس مختلفة، واحتياجات النهضة مختلفة، وكل يسدد بقدر طاقته وعلمه.

المشروع مكمل أو سيقوم لكل الجهود المبذولة في الساحة وليس بديلاً عن هذه الجهود، وهو مثمن لكل جهد قائم

أو سيقوم، يدعو للقائمين ويفرح بنجاحهم وبجهدهم، ويتمنى زيادة العاملين وريادة المشاريع الخيرة النافعة، ويقدم يد العون لكل مشروع فكري أو علمي تطبيقي أو عملي موجود في الساحة، ما وسعه الجهد.

الإنسان كائن متفكر، وذلك ما يميزه عن بقية المخلوقات، ونقصد بكونه متفكراً أنه لا يقوم بالعمل فقط كالدواب بفعل الغريزة، ولكن يقوم بعمله بعد نظر وتدبر، وبالتالي، فالتفكر والعمل وجهان لعملة واحدة، هي الانسان، كل ما هنالك أن هناك من يغلب عليه الفكر بحكم التكوين والتخصص، وهناك من يغلب عليه التنفيذ بحكم التكوين أو التخصص.

والواقع لا يستطيع تجاوز عالم الأفكار، بل هو أسير للأفكار، فكل واقع هو ابن فكرة صالحة أو طالحة، سواء انتبه لها المنفذ أو لم ينتبه.

والقران حين يطالب الناس بالتفكر والتدبر، لا يطالبهم بذلك عبثا، انما هو مطلب أساس لاحسان العمل وتجويده باستمرار، ودورة الحياة تقوم على فكرة، ثم تطبيق، ثم معاودة التفكر للنظر فيما هو أحسن، وهكذا...

وكل أمة تتوقف عن التفكير والنظر تخرج من الدورة التاريخية، ونظرة واحدة إلى الأمم الأكثر تقدما، ستجدها هي الأمم الأكثر تفكرا وكتابة وبحثا، وفي نفس الوقت هي أكثر الأمم عملاً وإنتاجاً.

والحاجة ليست لمشروع واحد يتحدث عن الفكر، ولكن لعدد لا متناه من المشاريع التي تتحدث عن الفكر. فكل عمل هو ابن فكرة...

والأفكار بدورها هي أسئلة الواقع... فلو تخيلنا عدد الأعمال التي تحتاجها قضية النهضة، فعندها يمكن أن نتخيل عدد الأفكار التي نحتاجها لمقابلة كل عمل.

إن قرار الحرب والسلم والاقتصاد والاجتماع والإعلام والتعليم والصحة والبيئة والعلم والاختراع والزراعة والصناعة والدين والثقافة، في البداية والنهاية: مقدمتها وخواتيمها بحوث، ونظر، وفكر، وتفكر.. فتأمل.

حين تصاغ العبارة بدقة، تكون: لم يلتفت شباب الربيع العربي إلى كلام بعض المفكرين والعلماء، ولكن بالنظر إلى الثورة وفكر الثورة وفكر حركة اللاعنف وشعارات السلمية، سنجدها جزءاً من الفكر، وجزءاً من ما قدمه المفكرون. وطوال حركة الثورة كان التواصل مع المفكرين قائماً، وبعد حركة الثورة تبقى الحاجة إلى الفكر والمفكرين قائمة... بل حتى تعرية الواقع وكشف زيفه قبل الثورات لقطاعات الشباب، هو عمل فكري كبير سبق الثورات وحركة الشباب...

إن الفصل بين الفكر والعمل هو جزء من عصور التخلف... أما في حياة البشر جميعاً، فالفكر والعمل وجهان لعملة واحدة...

بل حتى الأدوات المستخدمة في التواصل الاجتماعي واللغة والمفردات ونوعية الدعاية والاعلام الثوري هي منتج فكري بالمقام الأول... ومن المؤكد أن أيّ إنسان تُطرح أمامه بدائل فكرية أولاً، وهو يختار منها، ثم يتحرك، وأياً كانت تسمية ما تم، ربيعاً أو ثورة أو غير ذلك؛ فالمحصلة هو اختيار من متعدد، والمتعدد هذا هو فكر ابتداء.

التنظير ليس شيئاً معيباً في حد ذاته، إلا إن كان غير متعلق بالواقع ولا يخدم هدفاً عملياً. والمشروع مادته ليست مادة أكاديمية جافة، بل هي مادة متعلقة بالأسئلة الأكثر إثارة للعقل بين المهتمين. ومن هنا، لقي الإقبال الكبير من قبل المهتمين، سواء كانوا أفراداً أو أحزاباً أو جماعات. فلك أن تتصور جموع الشباب العامل من غير نظام أفكار يسند حركتها، كيف يمكن أن تسير.

إن توفير المادة المعرفية وتدريب العاملين عليها ليس عملاً تنظيراً، بل هو أساس العمل. فمن السهولة طرح فكرة تنظيف شارع، ولكن أن نجعل النظافة ثقافة مجتمع فالوضع يختلف. فهو حفر معرفي عميق في نظام الأفكار أولاً. واليوم تشهد الفوضى في المسرح السياسي، وحين ننظر تحتها، ستجد عالم أفكار يحتاج الى نظر وبحث، ولو تم حرثه من قبل لأمكن الإقلاع بسهولة. إن النظر والعمل وجهان لعملة واحدة: فنحن نعمل ونكتشف القصور، والفشل يبدأ التفاكر والنظر، وحين نصل إلى إجابات، يبدأ التطبيق: فإما أن ننجح فتولد أسئلة جديدة للتقدم، أو نتعثر ونعود لبحث ذات الموضوع مرة أخرى، وهكذا تتطور المجتمعات وتنهض.

لا توجد نهضة صناعية بدون فكر، فالصناعة تحتاج إلى بحوث وإبداع، وتحتاج إلى تمويل، وتحتاج إلى العامل الذي يمتلك قيم العمل، وتحتاج إلى اقتصاد متوازن، وتحتاج إلى استقرار اجتماعي وبنية اجتماعية سليمة، وتحتاج إلى سوق لبيع المنتج، وتحتاج إلى علاقات دولية تسمح بتصريف المنتج. فالصناعة لا تعمل في فراغ، وذلك ما ذكرناه هو ابن الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي والصناعي والزراعي في الدولة، هذا من ناحية المبدأ.

فهناك قبل الصناعة والعلوم التطبيقية اسئلة المنهج، وهناك قبل الصناعة قدرة على الابداع يخلقها الفن والفلسفة، وهناك قبل الصناعة مجتمعات آمنت بالتقدم

وأزالت عوائق الفكر. وهناك قبل الصناعة فكر تجاري يسمح بإدارتها والترويج لها.

تلك ببساطة حقيقة أن الصناعة في أيّ مجتمع ليست نبتاً منفصلاً عن الفكر والنظر.

ولكن هناك ما هو أخطر من ذلك نتعلمه من التجربة السنغفورية. فيكفي أن تقرا كتاب public policy للكاتب السنغفوري المعروف NGIAM TONG DOW، والذي يعزو عودة التركيز في سنغفورة على العلوم الإنسانية إلى مشكلة كبرى حدثت في نهضة سنغفورة، حيث اصبح العالم السنغفوري عاجزا عن الإبداع منفرداً، فهو باستمرار يقوم فقط بتحسين عمل قام به الاخرون. وبعد دراسة سبب الظاهرة، قال الخبراء: إن ذلك ناتج عن إهمال العلوم الانسانية: ففضاء البحث العلمي الإبداعي يحتاج إلى خيال يفتقده غير المتصل بالعلوم الإنسانية.

فالغرب لم يكن له أن يبدع علومه لولا العمل المعرفي الفلسفي العميق الذي تم في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وحتى اليوم. والبعض يعتقد ان امريكا هي استثناء، فلا يعرف لها فلاسفة كبار. وهذا أيضا ليس صحيحاً: فالعلوم الانسانية في امريكا وفلسفة السياسة والاقتصاد والاجتماع، بل وفلسفة العلوم ومراكز البحث والنظر الفلسفي لا تتوقف عن العطاء، وما أعمال الخيال العلمي إلا امتداد للعلوم، وتمهيد لإبداعات محتملة.

والبعض يقول: إن بريطانيا نشأت نتيجة لعمل الفنيين والمهارات اليدوية، وهو خطأ كبير من ناحية، لأن اول الالات في بريطانيا وهو المغزل الالي ومحرك البخار، هي نتاج تراكم في تغيير التوجه الفكري من عصور الظلام الى عصر النهضة ومن بعده عصر التنوير، وكلها عصور فكرية بامتياز روجعت فيها نظم الحياة ومناهج البحث ووجهة التعليم، ثم جاء عصر الالة، ولولا تغيير المناهج والأفكار لما ولد عصر الآلة.

مشروع النهضة يحتاج لجهود كل القادرين على العطاء، وهم شرائح كثيرة في المجتمع، يمكن تقسيمهم بحسب الاعمار، وبحسب التخصصات، وبحسب الانتماءات،

والموقع الاجتماعي، وهكذا... ولكن قلب المشروع وتوجهه الأساس كان لشريحة الشباب التي تغذي كل هذه التقسيمات. ومفهوم الشباب هنا لا يعني بالضرورة ولا يقتصر على التصور العمري، ولكن على فكرة الاستعداد للتعاطي مع عالم أفكار جديد، وتسخير الطاقه له.

مشروع النهضة للأمة يحتاج ثلاثة مستويات من العمل

الأول يصب في خانة الفكر. وهي مساحة في غاية الأهمية: **فإنتاج عصر جديد،** قلبه إنتاج لفكر جديد وتصورات ورؤى جديدة، وتدافع مع أفكار قاتلة سببت الركود والخروج من نطاق الحضارة. ومن هنا، فالإجابة على ملفات النهضة التي طرحها المشروع وتكوين مؤسسات مستقرة لعلاجها، ضرورة كبرى يمكن أن يساهم فيها الشباب والمخلصون من أبناء الأمة.

الثاني يصب في خانة تبسيط الأفكار، ونقلها إلى عموم الجمهور، وإكساب الأفكار حساسية جماهيرية. وهو عمل المبدعين، والفنانين، والوعاظ، وكتاب القصة، والمسرحيين، والصحفيين، والمتعاطين مع الشبكات الاجتماعية، والسينمائيين، وغيرهم... هنا، يمكن أن يلعب الشباب دوراً كبيراً.

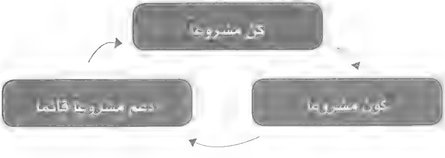
الثالث يصب في العمل الميداني: في المصانع، والمزارع، والمراكز البحثية، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والعلم، والتعليم.

هذا بالنسبة إلى عموم مشروع النهضة. أما للمشروع الذي بين أيدينا خاصة، فأكبر الأدوار هو توصيله الى أوسع نطاق، وتدريب أكبر كمّ شبابي على مادته، وإعطاء القدوة الخلقية لمن حوله.



المشروع في جوهره هو اعداد مركز ومتكامل للفرد وفي زمن قصير لجعل قراراته أكثر حكمة ونفعا فهو ينهل من منظومة متكاملة ومترابطة ومنسقة بحيث تعطيه تصورا يبدأ من تنظيم خارطته المعرفية ثم حسن ادراك الوقاع ثم فهم الدين ثم فهم الادارة وهو بهذا قادر على أن يقرر لنفسه. هل هو من النوع الذي يفضل العمل منفردا وله نقول (كن مشروعا) أي تفوق في اي مجال بحيث تكون قيمة مضافة للأمة. او يحب ان ينشىء مشروعاً له نقول (كوّن مشروعا) وانطلق. أو هو من النوع الذي يردي ان يساعد غيره فله نقول (ادعم مشروعا) واعطه من مالك وجهدك

اومهارتك وبذلك يمكن لكل شخص ان يجد ما يقدمه وهي حين يقوم بذلك وبسبب التدريب الي تلقاه سيقوم به على أكمل وجه بإذن الله.



النهضة لها جانبان

الأول: لو قلنا: «ان النهضة هي افكار حية تلتقي ببيئة ركود تثيرها، تفعلها، تدخلها في دورة حضارية جديدة ، فمن السهولة أن نرصد اليوم احتدام صراع الأفكار في الساحة بين عصر افل، وعصر على أبواب الميلاد عبرت عنه شعارات حركة الثورة العربية بمطلب الكرامة والتوزيع العادل للثروة والوحدة الوطنية، وهو اليوم يتناول شكل الدولة ومرجعيتها، وأسس التعايش فيها، وكلها قضايا مصيرية لها ما بعدها، وهي تدخل في مصطلح: «تثيرها» في تعريفنا السابق.

الثاني: وهو التمظهر العملي لميلاد أول طلائع النهضة، وهي في تعريفنا أربعة: شعور متعاظم بالامكان في مقابل الشعور باليأس، وسنعبر عنه بقوة حضور الأنا المجتمعية أو الهوية، وإصلاح العلاقة بالعلم والمعرفة، والتحول من استهلاك المعرفة الى انتاجها، ثم إصلاح نظم العمران في السياسة والاقتصاد والاجتماع وسائر نظم الحياة، وأخيراً الالتفات نحو ضرورة حماية المكتسبات بالاعتماد على الذات، ويدخل

في ذلك الأمن الغذائي وأمن المياه والأمن الصناعي والعسكري، بحيث يتم تأمين متطلبات الأمن ذاتياً، وتقليل الاعتماد على الآخر في هذه النواحي.

وبنظرة واحدة لهذه الفضاءات، سنجد أن إصلاح نظم العمران في السياسة والاقتصاد وغيرها قد بدأت؛ النقطة الأولى فيها بالثورات، ثم تلتها معركة إنشاء النظم الديموقراطية وإنشاء التعاقدات الاجتماعية الجديدة، ومعها البدء بالإصلاحات الاقتصادية. وهكذا شيئاً فشيئاً تتبلور أرضية إن شاء الله تصلح أن تتغير عليها العلاقة بالعلم، ومن ثم القدرة على الاعتماد على الذات.

ومن هنا، يمكن مراقبة هذه المؤشرات، وسنعرف: هل نسير في طريق النهضة ؟ وبأي سرعة؟

أما وجود مشروع تفصيلي لكل ذلك، فالنهضات لا تسير بهذه الكيفيات حتى في أكثر الدول تخطيطاً مثل الصين؛ فطريق النهضة ليس اكتشافاً مسبقاً، ولكنه طريق فيه التجربة والخطأ مع قدر من التخطيط ومعاودة التخطيط. فالصين لم تنجح إلا بعد ثلاث محاولات فاشلة.

وفكرة التخطيط للدول مرتبطة بعناصر لا بد من تذكرها، وهي جهة تمتلك الإرادة، وتمتلك الفكرة، وتمتلك الموارد المالية والبشرية، وتمتلك الأرض، وتمتلك البيئة المساندة، وذلك لا يتحقق عادةً إلا للدول.

والذي يتبقى للقوى المجتمعية بعدها هو المساهمة في تحضير الأجواء والتمهيد للنهضة، وهو طريق التراكم، وهو ما نعمل فيه نحن وغيرنا؛ إما بإعداد الكادر البشري وتغيير منظومة الأفكار، أو بتشجيع حمل ملفات النهضة العالقة وتحضيرها للاستفادة منها أو بتمكين المجتمعات وتهيئتها لمساندة مشروع الدول القادم أو القائم، وبالتالي التسريع في عملية النهضة. ولكل مؤسسة خططها في هذا الشأن، ولها مؤشراتها التي تقيس بها تقدمها وتحقيقها للنتائج، وفق خططها وإمكانياتها.

حين تطرح الفكرة نفسها على مجتمعها وجمهورها، فيمكن رصد تقدمها من خلال أربعة مؤشرات كبرى:

مجالها البشري التداولي: اليوم، وبسبب توفر المعلومات بطرق ميسرة، يمكن حساب عدد الكتب المباعة، وعدد الكتب المحملة من الانترنت، والدورات والبرامج التي تقدم في مختلف أنحاء العالم، وعدد المتدربين في البرامج، وعدد المدربين. كل ذلك يمكن ان يتم بكلفة بسيطة وعبر الانترنت بدون عناء، ومؤشرات جوجل حتى الساعة ٢٠١٢/١٠/١٤ تقول: ان هناك نطاق تداولي يبلغ عشرة ملايين من البشر يستخدمون المادة المقدمة ويتداولونها. ونقصد بالنطاق التداولي، ابعد مدى تصل إليه المادة بين المستخدمين، كأفراد. فمثلا محرك البحث جوجل يدرس بشكل مستمر عدد الأفراد الذين تداولوا مادة معرفية ما، من حين خروجها إلى اخر شخص اطلع عليها عبر النت، وهو يعني تلقائيا صدى كل مادة نطرحها، وإلى اي مدى يصل. ودرجة النمو من ستة ملايين الى عشرة في وقت قصير، تعكس الاهتمام بالمادة، وعلاقة المتلقي بها، ودرجة اهتمامه.

مجالها الجغرافي واتساعه: ويمكن بسهولة اليوم معرفة البلاد التي وصلت إليها الفكرة: فبعد العالم العربي وانتشار الفكرة فيه بدات طلائعها في اوروبا وفي تركيا، حيث تمت ترجمة كتب النهضة الى اللغة التركية، و قادمة الترجمة الى اللغة الاندنوسية إن شاء الله . كل ذلك يمكن رصده. فالعالم العربي وإفريقيا وآسيا وأوروبا، هكذا، يتسع النطاق الجغرافي، ونستطيع رصده.

وسرعة انتشارها: وتقاس حيوية الأفكار بسرعة انتشارها، وبسهولة يمكن أن نكتشف مثلا انه منذ اربعة اشهر او يزيد كان مجالها البشري يقرب من ستة ملايين، وبعد أربعة اشهر بلغ النطاق التداولي لعشرة ملايين، وهو ما يخبرنا الكثير عن حيوية الفكرة، وقدرتها على بلوغ عقول الناس وقلوبهم، والحاجة إليها.

وإنتاجها لعالم مشاريعها: واليوم، يمكن رصد عدد المبادرات الشبابية المنطلقة من قاعدة أفكار النهضة في كل البلاد العربية وما حولها. وسرعة تكاثرها. وعدد المشاريع القائمة التي تستفيد من المشروع، وحجم المؤسسات التي تريد الحصول على التدريب على برامج المشروع، والانطلاق الى مجالها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي والعملي.

كل هذه العناصر يمكن رصدها بسهولة اليوم، وهي ما يعطي العاملين في المشروع الحماس والحيوية، والله الموفق للخير دائما، وبيده مفاتيح مغاليق القلوب.

من المؤكد أن هناك احتياجات معرفية جدت، وبالتالي نحن نحاول ان نساهم في تلبيتها. فالكتب التي تم اصدارها ستجد أن هناك فصولا جديدة اضيفت اليها، وتم التسريع باصدار كتب وتقديمها، ككتاب الجيوبوليتيك ومستقبل الوطن العربي. وفي الدورات سنفرغ خلال أسابيع من اعداد مشروع إعداد الائمة والخطباء، ومن بعده إعداد المعلمين وفق مسطرة النهضة، وكلها تحتاج إلى نماذج جديدة.

مشروع النهضة الذي نطرحه، مسلم بحكم النشأة والتكوين. ولكنه لا ينتسب الى لون معين، ولا إلى جنس معين، ولا إلى طائفة دون طائفة، ويمكن أن يستفيد منه العربي والأعجمي، والمسلم وغير المسلم على السواء، لانه في جوهره يسعى لتكوين الإنسان السوي القابل لإنتاج النهضة.

مشروع النهضة في المنطقة العربية بحكم الموقع والمخاطبين، لا بد أن يراعي الثقافة السائدة في المجتمع. ولكن كما قلنا في السؤال السابق، يسع من ليس بمسلم أن يستفيد منه وفق قناعاته وتصوراته عن الحياة واختياراته (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)، فالمسلم اليوم يستفيد من الحضارة الغربية ومنتجها الثقافي والمعرفي، رغم أنه لا ينتمي اليها دينا وثقافة بحكم المشترك البشري. وبرغم بعدها عنه. وفي المنطقة العربية الثقافة الاسلامية قريبة من غير المسلم العربي، وبوسعه الاستفادة منها ومن منتجها.

وهدف مشروع النهضة إنتاج الإنسان السوي الذي يقيم حضارته على أسس إنسانية اخلاقية جامعة، يعتقدها المسلم دينا، ويرتضيها المنصف من غير المسلمين عقلا ومنطقا.

مشروع النهضة في جوهره يُعد الانسان النافع لكل البشر. فيجعل المسلم في غير بلاد الاسلام نافعا للبشر من حوله وإن اختلفوا معه دينا، ويجعل المسلم في الوطن الجامع اكثر رحابة وتسامحا في تقبل شركاء الوطن، وتفهما للتنوع والاختلاف، واحتفاء بالتنوع والاختلاف. إن مشروع النهضة في جوهره يؤمن أنه لا نهضة بدون مجتمعات متماسكة، ولا تماسك بغير تغيير ثقافة الفرقة الى ثقافة الفة، وتعارف، وبرّ، ومصاهرة، ونسب.

لا يسعى المشروع لإقامة حزب، ولا جماعة سياسية، لأن فكرة المشروع الرئيسية هي المساهمة في النهضة، عبر تكوين الانسان تكوينا معرفيا يسمح له ان يكون لبنة

صالحة اينما حل. وكل مجتمع يمرز بناد الحزبية والتنظيمية والرسمية وغير الرسمية ، فليست هذه منطقة نقص في الأمة، ولكن منطقة النقص في النوع البشري الذي يقوم على امر هذه المؤسسات. ومن هنا، يأتي دورالمشروع ومساهمته . والتي تُمكن الجميع من الاستفادة منه.

ما يرجوه اي فكر أن يساهم في صناعة الحدث. ولكن ذلك للزمن وللدراسات بأن تقول مدى نسبة مساهمة الأفكار التي طرحناها منذ (٢٠٠٤م) على صناع الحدث. فالثورات ليست من صنع احد بعينه، ولكنها عبارة عن خليط من تراكم فشل الحكومات، وصمها الآذان عن أوجاع المجتمع، والاستعاضة عن التفهم بالقمع والقهر الذي تتاكل مع الوقت طاقته الكابتة. وتتولد روح التمرد والمراغمة عند قطاعات ولو صغيرة في المجتمع، وتاتي بعدها الظروف التي تسمح لهذه القطاعات بالتوسع شيئا فشيئا نتيجة دخول مزيد من القوى الاجتماعية دائرة الاحباط، ثم تتوالى محاولات كسر الصمت، وتتوالى إخفاقات الحكومات في تلبية مطالب المجتمع، وبعدها يكفي حدث عابر في إشعال الفتيل وقيام الثورات.

باختصار فيما استطيع ان اجمله، المشروعان يسعيان للنهضة، ولكن نقطة ارتكاز مشروع النهضة هي الفكر أساسا، ونقطة ارتكاز التغيير الحضاري هي الإدارة، وهذا انعكس على فلسفة المشروعين في علاقتهم بالافراد؛ فيعتبر مشروع النهضة الرابطة الفكرية هي الاساس، بينما يعتبر مشروع التغيير الحضاري الرابطة الادارية هي الاساس، ثم تاتي فكرة انشاء المؤسسات وربطها بمركز مادي، وهي فكرة مشروع التغيير الحضاري، وعلى خلافها فكرة مشروع النهضة الذي يقوم بتشجيع اقامة المؤسسات، ويكتفي بربطها برابط فكري... على الأقل، هذه هي

الفروق الجوهرية حتى الآن.

أما التعاون بين الفكرتين، فموصول بسبب الغاية المشتركة التي يسعيان لتحقيقها.

هناك فكرتان مطروحتان أمام كل العاملين

الفكرة الأولى: هي فكرة التنظيم، وجوهرها فكرة التحكم، أي إيجاد جسم يتمثل الفكرة ويتعاهد عليها، يقوده صاحب الفكرة ويوظفه لخدمتها، وهي الفكرة الأكثر انتشاراً في العالم العربي، وهي فكرة تناسب ظروفاً معينة، ومشروعا معيناً، وتصوراً مستقبلياً معيناً ربما.

والفكرة الثانية: فكرة التيار، وهي تقوم على التمكين، بمعنى تمكين الإنسان من الفكرة، وإطلاق ممكناته في مجتمعه، يخدم حيث يشاء في مؤسسته أو حكومته أو حزبه أو تنظيمه، وعدم وضعه في سلم تراتيبي، وقيادته كتابع، وهي فكرة تختلف عن الأولى، وتناسب ظروفا معينة، ومشروعا معينا، وتصورا مستقبليا معينا ربما.

وفي مشروع النهضة الذي نقوم عليه، اخترنا الفكرة الثانية لأنها الأنسب لأهداف المشروع والظروف القائمة في الوطن العربي من وجهة نظرنا، والأقرب بالنسبة إلينا لتحقيق أكبر نفع لمجمل المجتمع.

إن فكرة المشروع خلق نهر جار يستفيد منه كل بحسب حاجته، سواء كان فردا، أو مؤسسة، أو حزبا، أو تنظيما، أو حكومات.

وهذا يسمح لكل المشاريع أن تستفيد من مشروع النهضة دون خوف على استقطاب أفرادها . فمشروع النهضة يدرب كل الأفراد العاملين، سواء في الدول أو الأحزاب أو المؤسسات، أو المستقلين، وهذا هو الحادث الآن بفضل الله، فالكل يستفيد من النهر، والنهر يتدفق في كل الأراضي.

لا يسع اي شخص ان يسمي مشروع النهضة باسمه، ولا أن يدعيه. ولكن الناس تسمي، وتصف، وتربط الأشياء حين تبتغى التمييز بين الاشياء. ويسهل عليها ربط الاشياء بأسماء الأشخاص لسهولة التواصل. وهي حين تقوم بذلك لا تستاذن مؤسسة ما. اما المشروع نفسه، فلم يربط نفسه بشخص، ولم يسع لتكوين تنظيم يحمل اسمه، وليس مطلوبا من احد من المستفيدين ان يقوم بعمل دعاية له او ان يحتكر اسمه.

الاستاذ الراشد محل التقدير والاحترام دائما وابدا. وقد قرات الموضوع الذي طرحه بعد ان ارسله لي أحد الأحبة. ولم اجب عليه لسبب بسيط هو أن الفكرة مبنية على اني قلت بضرورة حل التنظيمات، أو بعدم اهمية التنظيم. وهذا لم يحدث قط، لا قولا ولا كتابة، ولا يقول بذلك عاقل. وقولي في كل أشكال العمل واحد، انها تنصرف لها الأحكام الشرعية المعروفة من الوجوب او الحرمة أو الكراهة او الندب أو الاباحة، فهي في بعض الاحوال واجب، وفي بعضها حرام، وفي بعضها مندوبة، وفي بعضها مكروهة. هذا من ناحية العموم.

اما على وجه التفصيل، فالتنظيم من حيث هو تنظيم بالمطلق، كما يقول علم الادارة هو اكبر مكتشفات البشر، فكل عمل يحتاج الى تنظيم. فعند التعميم نقول: **خير أعمال الإنسان ما كان منظما.**

وبيقى السؤال حول شكل محدد من التنظيم في بيئة معينة وفي ظرف معين ووفق مال معين وفي زمن معين، فذلك ما أقول أن حكمه واقع كسائر الاعمال في الأحكام المعروفة شرعاً، من الوجوب، أو الحرمة، أو الندب، أو الكراهة.

وبالتالي. فالحكم على الشيء فرع من تصوره: فحين نسأل بالمطلق: هل التنظيم امر مهم؟ نقول: نعم. وحين نسال عن تنظيم بعينه. نسال على وجه التفصيل: أين؟ ومتى؟ وكيف؟ وفي أيّ ظرف؟ حتى نطلق حكماً، أو نقول رأياً.

كتاب «حول أساسيات النهضة... قراءة في فكر الأستاذ البنا»:

لهذا الكتاب قصة لا زال افرادها احياء، فقد قمت بكتابته في اوائل التسعينات من خلال معايشة متصلة مع كتابات البنا عليه رحمة الله . وكانت فكرة الكتاب أن يعاد تنظيم أفكار البنا، بحيث توضع في نسق منظم بهدف اعادة ترتيب الخريطة المعرفية لأبناء حركة الإخوان المسلمين التي كنت يومها قد شرفت بعضويتها والعمل مع كوادرها قبل خروجي منها، ورغبة في تطوير الفكر الحركي من خلال ذات الأدبيات التي يومن بها افراد التنظيم، والتي يمثلها فكر الاستاذ البنا. ولم يكن الهدف حينها اعادة انتاج فكر الاستاذ البنا بقدر بيان منهج الاستاذ البنا، والذي حاولت أن أبرز فيه أهمية تشخيص الواقع، واهمية قراءة التاريخ، واهمية وضع نظرية العمل التي تغطي احتياجات المرحلة، واهمية رؤية المراحل في العمل والتقدم، وأهمية عدم تقديس الوسائل، واهمية عدم تقديس الأسماء، واهمية المرونة، واهمية التفكير الشامل. وكل تلك العناصر كنت اراها حينها اسسا كبرى لتطوير أي مؤسسة عاملة، بل ومن أهم ضروراتها، وكنت اقول ولا زلت: ان الامام البنا منهجٌ اكثر منه منتج: فما انتجه من افكار هو ابن الزمان والمكان والظرف والعوائد ولو عاش لغيرد لانتج غيره، ولكن المنهج حري بالنظر، وصالح للمتابعة والاقتداء... اعود الى الكتاب. فقد تم إنجازه، وابلغت الاخوة بالكتاب، واني ارغب في عرضه عليهم كاساس للتفاكر، حيث كنت اعتقد انه لا بد من شرح الغرض من الكتاب، وفهم سياقه لحسن الاستفادة منه قبل قراءته،

ولكن الإخوة حينها ترددوا في الاستماع، وأصروا على أن ارسل المادة. واستمر الأمر سنتين متصلتين. ثم أبلغت بقبول الاستماع. وذهبت الى بريطانيا، حيث كان هناك اجتماع يعقد لأحد المجالس، بحيث يخصص يومان للاستماع ثم التقويم. وفوجئت يومها بالمدة تتقلص لمدة ساعتين بعد أخذ ورد، وحضرها أخوان لست في حل في ذكر اسميهما... على كل حال، لقي الأمر قبولاً من المستمعين. وعرض على الأستاذ لاشين ان كنت أذكر الاسم. فدعم إرساله لمصر للتشاور، وذهب الكتاب إلى مصر حينها، وتم تدويره بين المستشارين: ومنهم الأستاذ الغزالي كما علمت. ثم دعيت لمصر في جلسة استماع حضرها عدد كبير من الإخوة، وعلمت بعدها ان هذا تم بطلب من الأستاذ مصطفى مشهور رحمه الله ، وقد رفعت إليه استبانات ايدت الكتاب، وأبلغت أنه قد تمت الموافقة على الكتاب، واتصل بي الإخوة حينها لمعرفة هل أريد أن انشر الكتاب باسمي؟، فاخبرتهم أن الكتاب كتب للحركة، وأنهم أحرار بالتصرف في الكتاب، وحينها خرج باسم الأستاذ الغزالي. والكتاب على كل حال هو جهد فردي، لم يشارك فيه إلا شخص واحد، وفي جزء بسيط منه (عدة صفحات)، وهو الدكتور محمد أكرم العدلوني، حفظا للحقوق التاريخية، وقد سعدت بأن الكتاب عاد الى دائرة الاهتمام، فلا زلت اعتقد بأهميته لو أحسن استخدامه في تطوير الحركة ونقلها إلى فضاءات جديدة. والله سبحانه وتعالى يحفظ الجميع، ويسدد الخطى، ويبارك في الجهود. هذه القصة كما شهدتها.

الخاتمة

عقل الإنسان آلة مصمّمة للتساؤل، وكلّما تقدّم المشروع وانتشر كلّما جدّت أسئلة. والأسئلة حين تطرح تأخذ أشكالاً متعدّدة، فبعضها استفهام، وبعضها اعتراض، وبعضها إقتراحات يمكن تحويلها لسؤال. كلّ ذلك جزء من رحلة الفكر وتطوّره، فكلّ سؤال جديد هو ثروة وفرصة للتفكّر والنظر، وكلّما كبر السؤال كلّما ازدادت الفائدة وعظم الأثر.

في هذا الكتاب جمعنا بعضاً من متفرّقات الأسئلة، وحاولنا نظمها في عقد، حتى تخرج ككتاب ربما يكون الأول ككتاب تساؤلات؛ ولكن لا يحتمل أن يكون هو الأخير، فحركة الحياة وتجدّد الفكر هو الأساس المكين للنهضات، ومشروع النهضة الذي نُعنَون به مساهمتنا، هو مشروع فكر أولاً وليس آخراً.

حين نقول إن مشروع النهضة هو مشروع فكر أولاً وليس آخراً، فمن وراء الفكر ينطلق العمل، وتتأسّس المشاريع. ومن حركة الواقع تتولّد أسئلة جديدة تعيد حركة الفكر والنظر لتخليق فضاءات جديدة للفكر، فتنشئ وتهدم وتبني!!! حركة لا تتوقف... هكذا ولد هذا الكتاب من رحم الأسئلة التي وردتنا، وسيولد ما بعده من تفاعلنا مع مزيد من الأسئلة.

للقرّاء الأعزاء التحيّة، ونسألهم الدعاء وإلى لقاء في كتاب آخر.

